مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الرابع عشر- العدد الثاني، ص:263-310 ، يونيو 2006
ISSN 1726-6807, http//www.iugaza.edu.ps/ara/research/

أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم

د. جمال محمود الهوبي | **أ. عبد الهادي سعيد الأغا**
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن | ماجستير تفسير وعلوم قرآن
الجامعة الإسلامية – كلية أصول الدين
غـ ـزة - فلسطين
Email: jhoobe@iugaza.edu.ps

ملخص: تناول البحث موضوع (أصول ومبادئ الحرب كما يعرضها القرآن الكريم) بالدراسة الموضوعية المبنية على الاستدلال والتحليل والاستنباط ودقة الربط بالواقع المعاصر .
فتـناول بالتفصيل مبادئ : الردع ، وحشد القوة ، والاقتصاد في استخدام القوة ، وتحديد الهدف المرحلـي والاستراتيجي ، ومباغتة العدو ومفاجأته ، والتعاون ، والمبادرة بالهجوم ، والمناورة والمرونة ، والأمن ، والحفاظ على الروح المعنوية ، وقوة الإدارة والقيادة .
ووضح البحث الحرب النفسية والإعلامية وأساليبها ووسائلها ، وأهمية ممارسة المجاهدين لها ، والحذر من استغلال الأعداء لها ، وذلك لخطرها الكبير .
كما بين أصول ومبادئ الحرب من خلال دراسة تطبيقية تحليلية تفسيرية لسورة العاديات .
ثم كانت الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج والتوصيات .

ABSTRACT: This study discusses the principles of ware as the imagination of Koran, as subjective studied depends on analysis, evidence , jurisprudence and connected it with contemporary issues.
This research explane with detaley the principles of using power, and prevention against the enemy, and this research puts the stratigical stage, sudeen and starting to fight enemy.
This study prevent the highly spirite and power for soldiers and leaders, this study declear the importance the type and styles of psychological, and informatics war for almogaheen.
This research speakes about the analysis and implemention as subjective studied in sorret aladiat.
Finally this research has a good results and recommendations.

المقدمة

الحمد رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول ا الأمين ﷺ ، قائد المجاهدين وإمام الغر المحجلين ، أما بعد :

فهـذا بحثٌ متواضع بذل فيه الباحثان جهدهما في استنباط واستخلاص جملة من أصول ومبادئ الحرب التي تضمنها القرآن الكريم في آياته ، خدمة لدين ا تعالى عامة، وللجهاد والمجاهدين في سبيل ا خاصة .

وأهمية هذا ا لبحث تتجلى وتصب فيما تحتاجه أمتنا المعاصرة وإلى يوم القيامة، إلـى الجهـاد القويم الخالص لوجه ا ، الذي يتفق مع كتاب ا وسنة رسوله ﷺ والقائم على أصول ومبادئ الحرب المنبثقة عنهما .

ويهدف هذا البحث إلى :

1- نيل رضى ا سبحانه .

2- التأصيل القرآني لأصول ومبادئ الحرب .

3- الاسـتفادة مـن أصـول ومـبادئ الحرب التي قدمها القرآن ، وإبرازها في تفسير موضـوعي يجمـع شـملها ، ويؤلـف بين شتاتها ، مع توظيفها في واقعنا الجهادي المعاصر .

4- الارتقـاء بجهـاد شـعبنا الفلسطيني خاصة ، وأمتنا المسلمة عامة نحو المثالية التي يريدها الإسلام .

ولتحقـيـق أهـداف البحـث وغرضه جعلناه في ثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وفهرس كما يلي :

المبحث الأول : مبادئ الحرب العسكرية في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الحرب النفسية والإعلامية في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : مبادئ الحرب من خلال النظرية العسكرية في سورة العاديات .

الخاتمة : (أهم النتائج وأهم التوصيات) .

فهرس المصادر والمراجع .

المبحث الأول

مبادئ الحرب العسكرية في القرآن الكريم

تعـارف العـالم علـى جملة من المبادئ الحربية، وزعم البعض أنها من بنات أفكـارهم، وبالـرجوع إلـى القرآن الكريم والسنة النبوية المفسرة له ، نجد هذه المبادئ موجـودة ومطـبقة، لـذا سنتناول في هذا المبحث بعض الآيات التي تضمنت إرشادات عسكرية، ونجتهد في ربطها بالسيرة العسكرية للقادة الأوائل رضوان ا عليهم، وذلك في المبادئ الاثني عشر التالية:

أولاً : مبدأ الردع:

إن الردع هو منع الدولة المعادية من اتخاذ قرار باستخدام أسلحتها، أو منعها من العمل، أو الرد إزاء عمل معين، وذلك باتخاذ إجراءات وتدابير كفيلة بتحقيق الردع[1].

وبالـنظر فـي آيـات الكتاب العزيز نجد أن هذه النظرية حاضرة بشكل واضح ضـمن الـنظريات العسـكرية للقرآن، بل تشكل هـذه النظرية هدفاً رئيساً للإعداد في الإسلام، حيث قال تعالى: ﴿**وَأَعِدوا لَهم ما استَطَعتُم مِن قُوةٍ ومِن رِباطِ الْخَيلِ تُرهِبون بِهِ عـدو اللهِ وعدوكُم وآخَرِين مِن دونِهِم لا تَعلَمونَهم الله يعلَمهم وما تُنْفِقُوا مِن شَيءٍ فِي سبِيلِ اللهِ يوف إِلَيكُم وأَنْتُم لا تُظْلَمون**﴾(الأنفال:60).

فقـد بينـت الآية الكريمة أن من الأسباب الرئيسية للإعداد هو إرهاب أعداء ا تـبارك وتعالى وأعدائنا، وكذلك إيصال رسالة تهديدية للمتربصين، والخائنين والمنافقين، الذيـن هـم من دونهم ولا نعلمهم ، وقد يكونون من بني جلدتنا وينتسبون لديننا ويمثلون طابوراً خامساً للأعداء بيننا .

يقـول صـاحب تفسير المنار في الآية:" وذلك أن الكفار إذا علموا أن المسلمين متأهـبون للجهـاد، ومستعدون له، ومستكملون لجميع الأسلحة والآلات، خافوهم، وذلك الخـوف يفـيد أمـوراً كثيرة **أولها:** أنهم لا يقصدون دار الإسلام ، **وثانيها:** أنه إذا اشتد

---

(1) العسكرية الإسلامية، وقادتها العظام، لجمال الخلفات ، وبهاء الدين أسعد ، ص90 .

خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزيـة، **وثالثهـا:** أنه ربما صار ذلك داعياً لهم إلى الإيمان، **ورابعها:** أنهم لا يعينون سائر الكفار..."[1].

إن مفهوم الإرهاب في القرآن الكريم يحقق نظرية الردع بكل معانيها وجزئياتها، فـأقـوى وسـائل الردع المؤدبـة امتلاك القوة، فأنت لا تعلن تهديداً لأحد لكن امتلاك القوة والسلاح يوصل رسالة الردع دون أن تنطق بكلمة تهديد واحدة.

وإن هذا المعنى لا يعني إهمال القرآن الكريم لوسائل الردع العملية والتنفيذية، بل نجـد أن القرآن قد حث عليها فقال تعالى:﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ (الأنفال:57).

فقـد تضـمنت الآية الكريمة شرطاً وجوابه، والمعنى إن أسرتم الأعداء، أو إن وجدتـم الأعداء في حالة الحرب على القول الآخر، فأنذروا بهم من خلفهم؛ بالتنكيل بهم، وقتلهم ليتفرقوا[2].

إن بعـض الأعداء لا يمكن لهم أن يسالموا إلا إذا مرغت أنوفهم في التراب، لذا فقـد كـان لا بد من بعض الوسائل القوية والشديدة لتأديب هذا النوع، وهذا يجسد نظرية الردع بشكل كامل، والله أعلم.

ثانياً : مبدأ حشد القوة :

وهـي تعنـي جمع أكبر قوة، سواء كانت مادية، أو معنوية في مواجهة العدو، بحيث تناسب القوة الموقف، وفي الزمان والمكان المناسبين[3].

إن نظرية حشـد القـوة التي اعتمدها العسكريون كإحـدى النظريات العسكرية لهـا في كتـاب الله ما يشير إليهـا، ويؤكـد عليهـا، ولعـل آية الإعداد من أبرز تلك الآيـات، قال تعالى:﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ (الأنفال:60).

(1) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 59/10 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 391/4 ، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا 46/10 .

(3) التعبئة الجهادية في الإسلام لأحمد المومني ، ص237 .

يأمر ا تعالى المؤمنين في الآية بإعداد القوة بقدر الاستطاعة، وبذل الاستطاعة يعني حشد كل شيء يمكن حشده لمواجهة العدو، وهذا تحقيق لنظرية الحشد العسكرية.

والإعـداد في الآية يشمل العدة وهي وسائل الجهاد وذلك بإعداد السلاح بمختلف أنواعـه ، والركائب ، والطعـام والشـراب والملابس والخيـام ، والدواء والعـلاج ، وكـل مـا يحـتاجه المجاهدون ، ويشمل العدد وهم المجاهدون : وذلك بإعدادهم دينيـاً وخاصـة عقائـد الجهـاد وأحكامـه الشرعية ، وإعدادهم علمياً : وذلك بتعليمهم علوم وفنون الحرب ومتعلقاتها ، وإعدادهم عسكرياً : وذلك بتدريبهم وتأهيلهم حربياً وعسكرياً .

قـال أبو حيان في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ : "والظاهر العموم في كل ما يتقوى به على حرب العدو كالرمي ، وركوب الخيل ، وقوة القلوب ، واتفاق الكلمة ..." [1] .

ويعضـد هذه الآية قوله تعالى:﴿**انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (التوبة:41).

فقـد اسـتنفر ا عز وجل في هذه الآية الجميع للجهاد في سبيل ا ، ومواجهة الأعـداء. حيـث اسـتنفرنا كهولاً وشباناً، خفافاً وثقالاً، ركباناً ومشاةً، زرافاتٍ ووحداناً، أغنياء وفقراء، أقوياء وضعفاء [2].

أ- اهتمام النبي ﷺ والصحابة رضي ا عنهم بنظرية حشد القوة :

إن أوضـح دليل على اهتمام النبي ﷺ بهذه النظرية أنه لم يبدأ قتاله منذ اللحظة الأولى لانطلاق دعوته، بل كان المؤمنون مأمورين بكف اليد، وعدم الرد، حتى استطاع النبي ﷺ أن يحشد معه أهل المدينة، ويبرم مع بطونها اتفاقيات، إضافة إلى المؤمنين من المهاجريـن، ولـم يكـن النبـي ﷺ لـيخوض غزوة قبل أن يحشد لها ويعد نفسه جيداً للمواجهة[3].

(1) البحر المحيط 511/4 .

(2) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 144/2، والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي 4/ 208، 209.

(3) فن القيادة في الإسلام للركن أحمد بصبوص ، ص78 .

وكذلك فقد اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بنظرية الحشد، فأبو بكر حين أراد محاربة المرتدين، ومانعي الزكاة، حشد لهم أحد عشر لواء، وعندما شعر بأن قوة المسلمين في اليرموك لا تتناسب مع قوة الروم سير لهم خالداً من العراق بجيشه[1].

ب- حشد القوة المادية ليس وحده معيار النصر:

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام لم يعتمد على حشد القوة المادية اعتماداً كاملاً في تحقيق النصر، بل يرى أن حشد القوة المعنوية، والشعور بالمعية الإلهية، هو أعظم من القوة المادية، هذه القوة المعنوية التي أهلت الجندي المسلم ليقاتل عشرة من الأعداء، وحرمت عليه الفرار أمامهم، حيث قال تعالى: ﴿**يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون**﴾ (الأنفال:65).

لقد بدأت الآية بالتحريض والذي يمثل تعبئة للقوة المعنوية، ثم جاء التكليف بأن يقابل الجندي المسلم عشرة من الأعداء دون أن يفر.

وبعد ذلك خفف الله عنا ليقاتل الجندي المسلم اثنين من الأعداء، فقال تعالى: ﴿ **الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين**﴾(الأنفال:66).

وهكذا يتبين لنا أن نظرية الحشد العسكرية نظرية قرآنية إسلامية قد طبقها نبينا ﷺ وحرص عليها أسلافنا، وفاق فهمنا لهذه النظرية فهم عدونا، فهي عندنا تشمل حشد القوة المادية والعسكرية، إضافة إلى حشد القوة المعنوية والإيمانية، أما عندهم فهي تقتصر على القوة العسكرية؛ بدليل قول نابليون:" إن كل فن الحرب ممكن تلخيصه بمبدأ واحد، وهو أن تجمع في جبهة واحدة قوة أكبر من قوة عدوك[2]، وإن كانت هناك تعبئة معنوية، فهي قائمة على زور وباطل، وأنى لعقيدة باطلة أن تصمد في وجه عقيدة الحق والعدل إذا تعمقت في قلوب أهلها.

(1) جولة تاريخية في حياة الخلفاء الراشدين لمحمد السيد الوكيل ، ص21 .

(2) فن القيادة في الإسلام للركن أحمد بصبوص ، ص78.

ثالثاً : مبدأ الاقتصاد في القوى :

هـو حشد أعظم قوة تجاه الغرض الأساسي مع تخصيص القوات الأقل للعمليات الثانوية[1].

ويقـوم هـذا المبدأ على عدم تبديد القوى المقاتلة في مهام ثانوية، والحفاظ على القـوى الضـاربة، وحشـد كـل الإمكانـيات، وزجها في مسرح العمليات وفق أهمية الأهداف[2].

إن الاقتصـاد هو جزء من ثقافة الجندي المسلم، فهو الذي تربى في كل جوانب حياته على أن لا يضع الشيء إلا في موضعه، ولا يسرف لأن الله لا يحب المسرفين.

ففـي اللباس والأكل قال تعالى: ﴿**يا بني آدم خُذُوا زِينَتَكُم عِنْدَ كُلِّ مسجِدٍ وكُلُوا واشْرَبوا ولا تُسرفُوا إِنه لا يحِب الْمسرفِين**﴾(الأعراف:31). وفي الإنفاق بشكل عام قد وجهـنا الله تعـالى إلـى ضرورة التوسط، فقال: ﴿**ولا تَجعلْ يدك مغْلُولةً إِلى عنُقِك ولا تَبسطْها كُلَّ الْبسطِ فَتَقْعد ملُوماً محسوراً**﴾(الإسراء:29).

فقد أمرتنا الآية بالاقتصاد والتوسط في العيش والإنفاق، وذمت البخل، ونهت عن الإسراف[3].

ونـرى أن الاقتصـاد ينبغي أن يشمل القوى البشرية، والقوى المادية، من عتاد وسـلاح، وممـتلكات، لكن من الضروري أن لا يؤثر الاقتصاد في استخدام القوى على النتائج، فلا نستخدم جندياً إلا في الموضع الذي لابد أن يكون فيه.

وإن الاقتصـاد في القوى لا يعني البخل، وإذا علم القائد أننا بحاجة لقوة في ثغرٍ ما، وبخل بها، يكون بذلك خائناً عسكرياً، وخلاصة هذه المسألة، أن توظف القوى حسب أهمية الأهداف ومتطلباتها .

وقـد سجل القرآن الكريم مبدأ الاقتصاد في القوى في معرض حديثه عن غزوة بـدر في سورة آل عمران، حيث قال الله تعالى:﴿**إِذْ تَقُولُ لِلْمؤْمِنِين أَلَن يكْفِيكُم أَن يمِدكُم**

---

(1) العسكرية الإسلامية، وقادتها العظام لجمال يوسف الخلفات ، ص99 .

(2) فن الحرب الإسلامي لبسام العسلي ، ص187.

(3) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 374/2 ، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي 170/1 .

ربكُـم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِن الْملائِكَةِ منْزلِين * بلى إِن تَصبِروا وتَتقُوا ويأْتُوكُم مِن فَورِهِم هذَا يمدِدكُم ربكُم بِخَمسةِ آلافٍ مِن الْملائِكَةُ مسومِين﴾(آل عمران:124-125).

وفـي سورة الأنفال قال في ذات غزوة بدر: ﴿**إِذْ تَستَغِيثُون ربكُم فَاستَجاب لَكُم أَني ممِدكُم بِأَلْفٍ مِن الْملائِكَةِ مردِفِين**﴾(الأنفال:9).

يقول الربيع بن أنس:" أمد ا المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسـة آلاف"[1] ، وقال قتـادة : "أمرهم ا تعالـى بألف ، ثم بثلاثة ، ثم أكملهم خمسة آلاف" [2] .

وبذلك يكون التنصيص على الألف في الأنفال لا ينافي الثلاثة آلاف، أو الخمسة آلاف في آل عمران، ويمكن لنا أن نقسم وجه الدلالة إلى شرطين:

1- قـد تحدثـت الآيات عن مدد من الملائكة بغض النظر عن عددهم، والمدد إنما يكون على قاعدة الاقتصاد في القوى.

2- إن تـتابع المدد يؤكد نظرية الاقتصاد في القوى، فا تعالى يعلم السر وأخفى، وكان بمقـدوره أن يمدنا بخمسة آلاف منذ البداية، فجاء التتابع ليجسد لنا درساً في اقتصاد القوى، وتوزيعها حسب الحاجة.

وبالـنظر إلى سيرة القائد الأول ﷺ نجد مبدأ الاقتصاد في القوى متحققاً في كل غـزواته، فكانت القوة تناسب الموقف؛ ففي أُحد قد كلف ﷺ جماعة من المسلمين بلغت خمسين مقاتلاً بقيادة عبدا بن جبير أن يقيموا على جبل لحماية المسلمين من الخلف[3].

فالنبـي ﷺ لـم يسـرف في استخدام قوى في مهام ثانوية؛ حيث اكتفى بخمسين مقاتلاً ليكونوا على الجبل، وهذا هو صميم مبدأ الاقتصاد في القوى.

رابعاً : مبدأ اختيار القصد وإدامته :

قبل خوض أي معركة لابد من تحديد الهدف، واختيار القصد، والتذكير الدائم به،

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 316/1 .

(2) الدر المنثور للسيوطي 30/4 .

(3) الرحـيق المخـتوم للمباركفوري ، ص284 ، والسيرة النبوية لابن هشام 843/3 ، ط (دار الفكر) .

والمداومة عليه، والقصد النهائي للجيوش المتحاربة، هو تحطيم إرادة الخصم[1].

ونرى أنه إذا صدق هذا التعريف على الجيوش ذات الأهداف والمقاصد الدنيوية، فـلا يصدق على الجيش الإسلامي الذي خرج لإنقاذ الناس وهدايتهم، وعليه يكون القصد النهائـي للجـيش الإسـلامي في جهاد الطلب هو نشر الإسلام، وتبليغ دعوة ا تبارك وتعالى.

وأما القصد النهائي للجيش الإسلامي في جهاد الدفع فهو نصرة المظلومين، ودفع البغاة المحتلين.

وبالتالـي فـإن تحطـيم مقصد إرادة الخصم لا يصلح عندنا مقصداً استراتيجياً، ويمكـن أن يصلح مرحلياً ، ويدل على ذلـك المقصد الاستراتيجي للجهاد والمذكور في قوله تعالى : ﴿ **وقَاتِلُوهم حتى لا تَكُون فِتْنَةٌ ويكُون الدين كُله لِلهِ ...** ﴾ (الأنفال: 39).

وعند اختيار القصد، وتحديد الهدف، سواء كان مرحلياً، أو استراتيجياً، يجب أن نراعـي أن يكـون هـذا القصد متفقاً مع قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن صلاتِي ونُسكِي ومحياي ومماتِـي لِلـهِ رب الْعالَمِيـن**﴾ (الأنعـام:162). ففي ضوء هذا التوجيه تصبح الأهداف المرحلـية والكلية منضبطة في إطار واحد، وهو نيل مرضاة ا تبارك وتعالى، يعضده هـنا قولـه تعالى: ﴿**وما أُمِروا إِلا لِيعبدوا الله مخْلِصِين له الدين حنَفَاء ويقِيموا الصلاةَ ويؤْتُوا الزكَاةَ وذَلِك دِين الْقَيمةِ**﴾ (البينة:5).

فالقصد في كل العبادات والأعمال ينبغي أن يكون خالصاً تعالى، والجهاد من أهم الأعمال التي تحتاج إلى تصحيح القصد ، قال ﷺ : (لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا) [2] .

اختيار القصد، وانتخاب الهدف ... يساهم في تحقيقه :

يعضد هذا قوله تعالى: ﴿**ومن يرِد ثَواب الدنْيا نُؤْتِهِ مِنْها ومن يرِد ثَواب الْآخِرةِ نُؤْتِهِ مِنْها وسنَجزِي الشاكِرِين**﴾(آل عمران: من الآية145).

---

(1) فن القيادة في الإسلام للركن أحمد بصبوص ، ص91 .

(2) صـحيح مسلم ، كتاب 33 (الإمارة) باب 20 (تحريم رجوع المهاجر ...) 1488/3 ، ح (1864) .

فالإرادة تتحقق بالمداومة على القصد، فبمقدار الحرص على المداومة، والإصرار على المواصلة، تعلو الإرادة، ويتحقق الهدف المنتخب، والله تعالى إذا رأى من العبد جداً وصدقاً في طلب شيء يقدره له إن شاء، بدليل أنه يعطى الدنيا لمن طلبها، ويعطي الآخرة لمن أرادها.

وبالنظر في سيرة القائد الأول ﷺ نجد تطبيقاً متواصلاً لهذا المبدأ، حيث كان يختار هدفه بدقة ووضوح، ويذكر به، ويطلع القادة التنفيذيين عليه؛ والأمثلة كثيرة، أذكر منها ما فعله النبي ﷺ يوم الحديبية، حيث بدا أنه كان يعتزم التأثير على معنويات قريش من غير قتال؛ بدليل أنه خرج محرماً، وخلفه جيشٌ محرم، وتجنب أي اشتباك مع قريش، حتى بلغ الحديبية، أفسح المجال للمفاوضات، حيث كل شيء يؤكد أن النبي ﷺ لا يريد قتالاً، ولولا إدراكه لهدفه جيداً، ومداومته عليه؛ لانجر إلى معارك جانبية، ولما استطاع أن يحقق الفتح بتعبير القرآن الكريم.

ومثال على هذا المبدأ من القرآن قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾ (التوبة:38) .

فهذه الآية نزلت عندما دعا ﷺ الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وشدة حر فشق عليهم [1] ، وقد حدد النبي ﷺ وجهته وهدفه وهو غزو الروم وتحطيم كبريائهم وتبديد أوهامهم بالقضاء على الإسلام والمسلمين والنيل منهم ما استطاعوا .

خامساً : مبدأ المباغتة والمفاجأة :

إن المباغتة والمفاجأة تعني الظهور أمام العدو في وقت لا يقدره، وبصورة لا يتوقعها، وبأسلوب يجهله، بحيث تضطرب صفوفه، ويرتبك قادته، ويدب الرعب في جنده، ويفقد توازنه، ويعجز عن اتخاذ قرار صحيح[2].

---

(1) تفسير الإمامين الجليلين للمحلى والسيوطي ، ص 254 .

(2) العسكرية الإسلامية، وقادتها العظام لجمال الخلفات وبهاء الدين أسعد ، ص100 .

والمفاجـأة قـد تكـون في الزمان، أو المكـان، أو العدد، أو السلاح ، أو الخطة، أو غير ذلك.

ومن الآيات التي تتضمـن الإشـارة إلـى المباغتة قوله تعالى في آل عمران: **﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾**(آل عمران:125).

يقـول صاحب المنار:" الفور في الأصل فوران القدر ونحوها، ثم استعير الفور للسرعة، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها، ولا تعريج من صاحبها على شيء[1].

وعليه فإن استخدام كلمة ﴿**فورهم**﴾ التي تدل على السرعة في الآية التي تعلن عن قـدوم المدد، تعني تحقيق مبدأ المباغتة والمفاجأة،؛ لأن السرعة سبيل المباغتة، والمباغتة في هذه الآية هي مباغتة في القوات؛ لأنها سرعة المدد.

ومما يدل على هذا المبدأ قوله تعالى : ﴿ **والعاديات ضبحاً * فالموريات قدحاً * فالمغيرات صبحاً * فأثرن به نقعاً * فوسطن به جمعاً** ﴾ (العاديات : 1-5) .

فالخيل القوية المسرعة جداً التي توري الشرر بحوافرها من الصخر ، والمغيرة في وقت الصبح الباكر ، والمثيرة للغبار في معترك القتال ، والتي اقتحمت جمع الأعداء وتوسطته ، ليدل قطعاً على مبدأ المباغتة والمفاجأة .

وممـا يـدل على مبدأ المباغتة أيضاً مفهوم المخالفة لقوله تعالى : ﴿ **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلةً واحدةً** ﴾ (النساء: 102) .

إذن هذا المبدأ الحربي خطير جداً ذو حدين فعلى الجيش المسلم أن يحسن استخدامه وتوظيفه ، وعليه أيضاً أن يحذر من استخدام الأعداء له كما دلت الآية الكريمة.

ب - **المباغتة في سيرته ﷺ:**

إن المتتـبع لسيرته ﷺ يجد أن مبدأ المباغتة متوفر في كل غزواته، وقد كان ﷺ يـتخذ كل التدابير اللازمة لتحقيق ذلك، والتي منها التورية عن الجهة التي يعتزم التوجه

(1) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 96/4 .

إليها، فقد جاء في سيرة ابن هشام ما نصه:" وكان رسول ا ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له[1] إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو..."[2].

حيـث ظهـر مـن النقل السابق أن منهج التورية الذي يجسد مبدأ المباغتة كان حاضراً في كل غزواته وسراياه ﷺ.

فمـثلاً في غزوة فتح مكة يدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي ا عنها، وهي تحرك بعض جهاز رسول ا ﷺ، فقال لها: أي بنية: أأمركم رسول ا ﷺ أن تجهزوه؟ فقالت: نعم، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا وا ما أدري[3].

إن النبي ﷺ قد أخفى خبر توجهه إلى مكة عن زوجه عائشة، وكذلك نجد أبا بكر لا علم عنده بخبر الفتح، حيث يأتي كل هذا من أجل تحقيق مبدأ المباغتة.

وبالـتأمل قليلاً في مسألة إخفاء النبي ﷺ خبر غزوة الفتح عن عائشة وأبي بكر، نرى أن إمكانية إخفاءها عن عائشة ممكنة، لكن إخفاءها عن أبي بكر بعيدة، وذلك لأن أبا بكر يعد النائب الأول للقائـد العـام، فهل يعقل أن يخفي عنه النبي ﷺ خطوة كهذه، وإن أخفى عن أبي بكر فمن سيخبر؟!

وعليه يمكن أن يكون إبلاغ أبي بكر قد تأخر قليلاً فقط.

وفـي غـزوة خيبر، حيث أول ما توجه صوب غطفان، ونزل في وادي الرجيع القريـب منها، فظن أهل خيبر أن غطفان هي هدف الغزوة، ليفاجأوا في الصباح بالجيش الإسلامي يطوقهم من كل جانب[4].

---

(1) يصمد له: أي يقصده ، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 52/3 .

(2) السيرة النبوية لابن هشام 115/4 .

(3) السيرة النبوية لابن هشام 26/4 .

(4) السيرة النبوية لابن هشام 212/3 .

سادساً : مبدأ التعاون :

وهذا المبدأ يعني التضامن من أجل الوصول إلى الهدف، وذلك بتوحيد جهود كافة الدوائر والقطاعات[1].

لقـــد تـــربـــى الجـــندي المسلم في حظيرة الإسلام على التعاون في كل عمل خـــيري، فهـــو المأمور بذلـــك من خـــلال قولـــه تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعـــاونوا علـــى الـــإثم والعدوان** ﴾(المائدة:2).وعليه فالمسلم مهيـــأ للتعاون في كل مجالات الخير، فكيف إن كان التعاون في ميدان الجهاد.

وبالنظر في آيات الكتاب العزيز نجد اهتماماً واضحاً بمبدأ التعاون؛ حيث يظهر ذلك من آيات كثيرة، أذكر منها الثلاث التالية:

أ- قولـــه تعـــالى في سورة الصف: ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾(الصف:4).

فقـــد أمـــرنا ا فـــي الآيـــة الكـــريمة إلى القتال في أشكال صفوف كأننا بنيان مرصـــوص، ومعلـــوم أن تحقيـــق الصف لا يتم إلا من خلال التعاون، وبالتالي فإن هذه الآية تحمل دعوة ضمنية إلى تحقيق مبدأ التعاون في ساحات القتال.

ب- قـــال تعـــالى: ﴿**وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**﴾(آل عمران:147).

إن كل كلمات الآية تشير إلى تحقيق مبدأ التعاون في هذا الجيش، حيث توحدوا في القول، واتفقوا على طبيعته، وتضرعوا إلى ا على أتقى قلب رجل منهم، لتحمل لنا الآية دعوة للتعاون في أرض المعركة.

جـــ- قال تعالى: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**﴾(الأنفال:46).

إن مـــبدأ الـــتعاون واضح من مفهوم الآية الكريمة ، فقد نهانا ا عز وجل عن التنازع لأنه يفضي إلى الفشل ، وعدم التنازع ثمرة من ثمرات التعاون .

---

(1) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام لجمال الخلفات ، وبهاء الدين أسعد ، ص105.

د- قال تعالى : ﴿ إلا متحرفاً لِقتالٍ أو متحيزاً إلى فِئةٍ ﴾ (الأنفال: 16) .

إن الآية الكريمة صريحة في الدلالة على مبدأ التعاون والتنسيق بين الجند والقادة من جهة ، وبين قطاعات الجيش المختلفة من جهة أخرى ، وبين الجيش وأجزائه والإمام الأكبر أو نوابه من جهة ثالثة .

التعاون عند القائد الأول ﷺ:

لقد حرص النبي ﷺ على تحقيق مبدأ التعاون في كل مراحل حياته، وفي جميع غزواته، بل إن التعاون كان يمتد ليشمل كل مراحل المعركة من القرار المبدئي إلى الخطط الاستراتيجية، وبعدها المهام التنفيذية، تعاون مستمر من خلال المشاورة لأجل اتخاذ قرار الحرب، وبعد ذلك المشاورة في الخطة، ثم توزيع المهام والتعاون الكامل في تنفيذها.

ومن نماذج هذا التعاون، مشاورة النبي ﷺ لأصحابه يوم بدر، بل ظل يصر على سماع رأي الأنصار[1]، وكذلك التضامن الميداني في أرض المعركة كان تحقيقاً رائعاً لمبدأ التعاون العسكري.

ومن أمثلة التعاون العسكري في غزواته ﷺ ما كان يوم الأحزاب في حفر الخندق؛ حيث تعاون كل الجيش الإسلامي قيادة وأفراداً على حفره بما فيهم النبي ﷺ، وأنزل الله فيهم: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾**(النور:62).[2].

سابعاً : مبدأ الهجوم والمبادأة :

وهو يعني البدء في الهجوم، حيث يؤدي إلى كسب السيطرة، ويلزم العدو باتخاذ خطة دفاع لم تكن في حسبانه، ويرفع الروح المعنوية للمقاتلين، في الوقت الذي يضعف الروح المعنوية للطرف الآخر[1].

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام 183/2.

(2) السيرة النبوية لابن هشام 130/3.

ونلاحـظ من خلال هذا التعريف أن مبدأ الهجوم والمبادأة يتفق مع مبدأ المباغتة والمفاجأة في المبادرة بالهجوم أولاً ، ويختلف معه في علم ومعرفة العدو به وتوقعهم له ، بينما ينتفي ذلك في هجوم المباغتة والمفاجأة حيث يؤخذ العدو على حين غرة .

وبالعودة إلى القرآن الكريم نجد أن هذا المبدأ أيضاً حاضر في آياته، حيث يتضح هـذا المبدأ بمقارنة آيات الإذن بالجهاد، مع الآيات التي قررته في صورته النهائية، ففي الإذن بالدفـاع عـن الـنفس والجهاد في سبيل ا قال تعالى: ﴿**أُذِن لِلذِين يقاتَلُون بِأَنهم ظُلِموا وإِن الله على نَصرِهم لقَدِير**﴾(الحج:39).

فقـد أذنت الآية بالدفاع عن النفس، ورفض الظلم، والتمرد عليه، ومحاربته، ولا يفهـم منها الهجوم أو المبادأة، أما في تلك الآيات التي قررت الجهاد في صورته النهائية كآيات الأنفال وبراءة، نجد أن الدعوة واضحة للتعرض والمبادأة، حيث يقول تعالى: ﴿**أَلا تُقَاتِلُون قَوماً نَكَثُوا أَيمانَهم وهموا بِإِخْراجِ الرسولِ وهم بدأُوكُم أَولَ مرةٍ أَتَخْشَونَهم فَالله أَحق أَن تَخْشَوه إِن كُنْتُم مؤْمِنِين قَاتِلُوهم يعذبهم الله بِأَيدِيكُم ويخْزِهم وينْصركُم علَيهِم ويشْفِ صدور قَومٍ مؤْمِنِين**﴾ (التوبة:13-14).

إن سياق الآية بكل ما فيه من أساليب بلاغية لاستنفار المسلمين، وشحذ هممهم، يهـدف إلى نقل الفئة المسلمة من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم، لذا فقد أخذت الآيات تعالج كل ما يمكن أن يحول دون الانتقال إلى هذه المرحلة العسكرية المتقدمة.

يقول سيد قطب في ظلال الآيات السابقة:" تجيء هذه الفقرة لمواجهة ما حاك في نفوس الجماعة المسلمة من تردد وتهيب للإقدام على هذه الخطوة الحاسمة"(2).

والآيات الكريمة في معركة طالوت وجالوت تدل بوضوح على هذا المبدأ ، حيث تحـرك طـالـوت بجنـوده إلى أن وصل إلى أرض الجبارين فهاجم الجبارين بقيادة ملكهـم جالوت وهزمهم، قال تعالى : ﴿ **فَهزموهم بِإِذْنِ اللهِ وقَتَلَ داود جالُوت** ﴾ (البقرة: 251).

---

(1) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام لجمال الخلفات ، وبهاء الدين أسعد ، ص102.

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب 1610/3.

وكذلـك أراد سـليمان علـيه السلام أن يستخدم مبـدأ الهجـوم مع ملكة سبأ وقومهـا لـولا استسـلامهم ، قال تعالى : ﴿ **ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون** ﴾ (النمل:37).

إن اعتماد مبدأ الهجوم ضروري جداً للجيش المسلم، فالمهاجم أقوى من المدافع؛ لأنه يمتلك زمام المبادرة، كما يختار النقطة المناسبة التي يهاجمها، واللحظة المناسبة التي يهـاجم فـيها، وبذلـك يكون المهاجم قد استثمر كل نقاط القوة عنده ، واستغل كل نقاط الضـعف عند عدوه، وكان صلاح الدين الأيوبي يوصى قادته بأن لا يخوضوا معركة لم يحددوا هم زمانها، أو مكانها.

لـذا نجد أن النبي ﷺ قد استخدم مبدأ الهجوم بشكل كبير جداً، وقد بادأ العدو في معظم غزواته والتي منها: بدر، ومؤتة، والفتح، والطائف، وتبوك[1].

وكذلـك كـان أبو بكر حيث بدأ هو بمقاتلة المرتدين، والأمثلة على ذلك كثيرة، فغالب معارك الفتح الإسلامي كانت هجومية.

يقـول صاحب فن الحرب:" وكان القادة يرفضون باستمرار إرادة العدو في فرض مكـان المعركة، وزمانها، ويمتنعون عن زج قواتهم قبل إعداد الظروف المناسبة لتحقيق النصر"[2].

ثامناً : مبدأ المرونة والمناورة :

ونقصد به القدرة على الحركة، والمناورة، والانتقال[3].

ودقـة تطبـيق مـبدأ المـرونة يعتمد بشكل أساسي على متانة التدريب، وقوة الإعداد[4] ، وبراعة التخطيط ، ومهارة القيادة .

---

(1) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام لجمال الخلفات ، وبهاء الدين أسعد ، ص102.

(2) فن الحرب الإسلامي لبسام العسلي 185/1.

(3) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام لجمال الخلفات ، وبهاء الدين أسعد ، ص103.

(4) التعبئة الجهادية في الإسلام لأحمد المومني ، ص234.

وعليه؛ فإن هذه المرونة تتحقق بتطبيق قوله تعالى: **﴿وَأَعِدوا لَهم ما استَطَعتُم مِن قُوةٍ ومِن رِباطِ الْخَيل تُرهِبون بِهِ عدو اللهِ وعدوكُم وآخَرين مِن دونِهم لا تَعلمونَهم الله يعلمهم وما تُنْفِقُوا مِن شَيءٍ فِي سبِيل اللهِ يوف إِليكُم وأَنْتُم لا تُظْلَمون)﴾** (الأنفال:60).

حيـث إن بـذل الإنسان كل استطاعته في الإعداد بمختلف أنواعه يعني امتلاك أعلى درجات المرونة، واللياقة، والقوة بإذن ا .

ومما يدل على مبدأ المرونة والمناورة أيضاً قوله تعالى : ﴿ **إِلا متَحرفاً لِقِتَالٍ أَو متَحيزاً إِلَى فِئَة** ﴾ (الأنفال: 16) .

ومعـنى التحرف للقتال أن ينصرف المجاهد من جهة إلى أخرى أو من موضع لآخـر حسـب مـا يقتضيه حال القتال ، كأن ينحرف من مواجهة الشمس أو الريح إلى اسـتدبارهما ، أو ينتقـل من مكـان ضيـق إلى أرحب منـه ، أو من موضع مكشوف إلى آخر يستره ، أو من نزلة إلى علو أو العكس ، أو من معطشـة إلى موضـع ماء ، أو يفـر لـيكر ، أو يفـر بيـن أيديهـم لتنتقض صفوفهـم ، أو تنفـرد خيلهـم من رجالـتهـم، أو يجـد فيهم فرصة ، أو ليستند إلى جبل ونحـو ذلـك مما جرت به عادة أهل الحرب ويناسب حال الميدان والحرب والقتال [1] .

وهذا التحرف للقتال يكون للمجاهد الفذ ، وللفئة من الجيش ، وللجيش كله ، بدليل أن الاستثناء في الآية كما أنه يشمل الفرد فإنه يشمل الأكثـر من بـاب أولى للمصلحة ، ولكن قد يستلزم هذا إذن الأمير لئلا يفضي إلى التفكك ونحوه .

ومن التحيز إلى فئة هو أن يتحيز أو يصير المجاهد فأكثر أو الفئة من الجيش أو الجيش كله إلى فئة من المسلمين ليكون معهم فيقوى بهم على عدوهم ، وسواء أكانت هذه الفـئة قريبة أم بعيدة ، يدل على ذلك قوله ﷺ للذين فروا إلى المدينة وهو فيها : (... أنتم

---

(1) انظـر : تفسـير الطبري 201/9 وما بعدها ، ط الحلبي ، مصر ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 329/4، والأم للشافعي 92/4 ،93 ، والمهذب للشيرازي 298/2 ، وبدائع الصنائع للكاساني 4302/9 .

العكارون [1] ، أنا فئة المسلمين) [2] ، وقال عمر بن الخطاب رضي ا عنه وهو خليفة : (أنا فئة كل مسلم) [3] .

وهذا يمثل مرونة كبيرة في التعاطي مع القضايا الحربية الاستراتيجية.

ويدل أيضاً على مبدأ المرونة والمناورة آية النساء (102) التي تتحدث عن صلاة الخوف ، وسيرد ذكرها والحديث عنها في (مبدأ الأمن) التالي .

ونمـاذج المـرونة العسـكرية الإسلامية كثيرة في تاريخنا الإسلامي، ففي مؤتة اسـتطاع خـالد بمرونـته، ومرونة جنده؛ أن يربك جيش الروم، ويخرجه من المعركة، خاسـراً بعدما كانت لصالحه، حيث قام خالد بتغيير خطة المعركة، وإعادة تنظيم الجنود، والقـيام بحـركات عسكرية مريبة أوجدت يقيناً عند الروم بوجود مدد جديد، فيبني خالد خطـته علـى هذه القناعة الجديدة، ويستطيع بفضل ا أن ينسحب من المعركة دون أن يخسر جندياً واحداً[4].

تاسعاً : مبدأ الأمن :

ونقصـد بـه توفير الحماية بكافة أشكالها للقوات، والقيادات، وتجنيبها المباغتة، والعمل على صون المعلومات والأسرار[5].

ويعد الأمن من أهم واجبات القائد، فيعمل بكل طاقته على الوقاية من الوقوع في كـيد العـدو ومكره، وخداعه ومفاجأته، ويؤمن خطوط المواصلات لقواته، وغيرها من المهام، وتقوم بهذه المهمات دوائر الجيش على تنوعها ، خاصة دائرة الأمن العسكري .

---

(1) "العكـارون" : جمع عكار وهو الفار لإمامه لينصره ، ليس يريد الفار من الزحف . انظر : سنن الترمذي 187/4 .

(2) سـنن أبـي داود ، كتاب "الجهاد" باب "في التولي يوم الزحف" 46/3 ، ح (2647) ، وسنن الترمذي، كتاب "الجهاد" باب "ما جاء في الفرار من الزحف" 186/4 ، 187 ، ح (1716) . قال عنه الترمذي "هذا حديث حسن" .

(3) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب "السير" باب "من تولى متحرفاً لقتال" 77/9 .

(4) فن القيادة في الإسلام للركن أحمد بصبوص ، ص103، والبداية والنهاية لابن كثير 247/3.

(5) فن القيادة في الإسلام للركن أحمد بصبوص ، ص81.

وقـد أولـى القـرآن الكريم أهمية كبيرة لهذا المبدأ؛ حيث يظهر ذلك من خلال تشريع صلاة خاصة بالخوف والقتال، قال تعالى:﴿**وإذا كنْتَ فِيهِم فأقمتَ لهم الصلاةَ فلْتقُم طائِفةٌ مِنْهم معك وليأْخُذُوا أسلِحتَهم فإذا سجدوا فليكُونُوا مِن ورائِكُم ولتأْتِ طائِفةٌ أُخْرى لـم يصـلوا فليصـلوا معك وليأْخُذُوا حِذْرهم وأسلِحتَهم ود الذِين كفَروا لو تغْفُلُون عن أسلِحتِكُم وأمتِعتِكُم فيمِيلُون عليكُم ميلةً واحِدةً ولا جنَاح عليكُم إِن كان بِكُم أذى مِن مطَرٍ أو كنْـتُم مرضـى أن تضعوا أسلِحتَكُم وخُذُوا حِذْركُم إِن الله أعد لِلكافِرِين عذاباً مهيناً**﴾ (النساء:102).

إن صـلاة الخـوف كما يتضح من خلال الآية الكريمة إنما جاءت لتوفير الأمن والحمايـة للقـوات العسكرية المرابطة قبالة العدو، فلا يأخذنا العدو على حين غفلة من أمرنا، وفي هذا التشريع دليل كبير على أهمية الأمن بالنسبة للجيش المسلم، إذ إن الصلاة تعتبر في الإسلام عمود الدين، وتغيير بعض كيفيتها لا يكون إلا لأمر جلل.

بل إن القرآن الكريم قد أمرنا بصريح العبارة أن نأخذ التدابير الأمنية اللازمة في كـل تحركاتـنا فقال: ﴿**يا أيها الذِين آمنُوا خُذُوا حِذْركُم فانْفِروا ثُباتٍ أو انْفِروا جمِيعاً**﴾ (النساء:71). وأخذ الحذر إنما هو الأمن بعينه.

وبـالعودة إلـى سيرة النبي ﷺ نجد أن مبدأ الأمن من أهم المبادئ التي حظيت باهـتمامه ﷺ، فقـد أخفـى النبي ﷺ توجهه إلى مكة حتى عن زوجه عائشة رضي ا عنها[1].

وكذلك فعله ﷺ مع سرية عبد ا بن جحش، فقد دفع إليهم بكتاب، وأمرهم أن لا يفـتحوه إلا بعد مسيرة يومين، وبعدها لا يستكره أحد من الصحابة على المسير لتنفيذ ما في الكتاب[2].، والأبعاد الأمنية في هذا الصنيع لا تخفى على أحد.

وكذلـك كـان ﷺ يبث العيون بين يدي الجيش لتأتيه بخبر جيش الأعداء كما في غـزوة بدر وغيرها ، وأمر معاذ بن جبل أن ينغرس في صفوف المشركين في الأحزاب ليأتـيه بخبر جيش قريش ، وكان يتخذ حراساً على الجيش في الليل عند النوم ، وبنى له

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام 26/4.

(2) السيرة النبوية لابن هشام 173/2.

عريش في بدر وأعدت له ركائبه ليكون في منأى من أن يناله الأعداء بسوء وذلك نزولاً عند رغبة أصحابه رضي ا عنهم ، وفي أحد أمر الرماة أن يلازموا الجبل حتى يحمي ظهر الجيش ... الخ ، وكل ذلك من الأمن .

ومـن أهم وسائل تحقيق الأمن تطبيق مبدأ الاستطلاع فقد كان خالد بن الوليد ﷺ شديد الحرص على هذا المبدأ، حيث كان يرسل مجموعات الحماية في جميع الجهات(1).

وهذا طارق بن زياد يرسل طريف بن مالك قبل غزوه للأندلس؛ كي يأتيه بالخبر الأكيد عن وضع الأندلس، والمستوى القتالي لقوات القوط(2).

عاشراً : مبدأ الحفاظ على الروح المعنوية :

إن القـوة المعـنوية قـد تفوق في أثرها القوة المادية، فماذا يفيد السلاح إن كان حاملـه قـد انهـار نفسياً، ودمر معنوياً، لذا فقد اهتم القادة على اختلاف أهدافهم بالروح المعنوية للجند، وإدامتها عالية مرتفعة.

وإن مـن أبـرز عوامـل الحفاظ على الروح المعنوية عالية هو صحة العقيدة، وسلامة الانتماء، والإيمان الراسخ بعدالة قضيته التي خرج من أجلها، وسمو رسالته التي يضحي في سبيلها(3).

وبناء عليه يكون الجندي المسلم متمتعاً بكامل الروح المعنوية؛ لأنه لا يوجد أعدل مـن قضـيته، ولا أسـمى من غايته، وكذلك إن العقيدة العسكرية التي غُرست في نفس الجـندي المسـلم، تهتز لها الجبال الرواسي، وتلين لها الصخور العواتي، ونشير هنا إلى بعض ملامح هذه العقيدة التي تبني في الجندي الروح المعنوية العالية.

قـال تعـالى: ﴿**قُلْ هلْ تَربصون بِنَا إِلا إِحدى الْحسنَيين ونَحن نَتَربص بِكُم أَن يصيبكُم الله بِعذَابٍ مِن عِنْدِهِ أَو بِأَيدِينَا فَتَربصوا إِنا معكُم متَربصون**﴾(التوبة:52).

(1) فن القيادة في الإسلام للركن أحمد بصبوص ، ص93.
(2) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام لجمال الخلفات ، وبهاء الدين أسعد ، ص109.
(3) التعبئة الجهادية في الإسلام لأحمد المومني ، ص244.

فالجندي المسلم وهو يقاتلَ يدرك أن جميع خياراته المنتظرة فيها الربح والفوز، فهو إما أن ينتصر، أو يستشهد، فيكون بذلك قد حقق أمنيةً لطالما انتظرها.

بـل إن الجـنـدي وهو يقاتل في سبيل ا يكون حريصاً على نيل الشهادة، قال تعـالى: ﴿**فَلْيقَاتِلْ فِي سبِيلِ اللهِ الذِين يشْرون الْحياةَ الدنْيا بِالْآخِرةِ ومن يقَاتِلْ فِي سبِيلِ اللهِ فَيقْتَلْ أَو يغْلِب فَسوفَ نُؤْتِيهِ أَجراً عظِيماً**﴾(النساء:74).

ومعلوم أنه لا قتال أشرس وأقوى من قتال من يطلب الشهادة.

إن الجـندي المسـلم الذي تربى على حب الشهادة لا يمكن أن يضعف وهو يقرأ قو ـله تعالى: ﴿**والذِين قُتِلُوا فِي سبِيلِ اللهِ فَلَن يضِلَّ أَعمالَهم* سيهدِيهِم ويصلِح بالَهم* ويدخِلُهم الْجنةَ عرفَها لَهم**﴾(محمد:4-6).

وقـال تعالى: ﴿**وكَأَين مِن نَبِي قَاتَلَ معه رِبيون كَثِير فَما وهنُوا لِما أَصابهم فِي سبِيلِ اللهِ وما ضعفُوا وما استَكَانُوا والله يحِب الصابِرِين**﴾(آل عمران:146).

إن هـذه العقـيدة الرائعة هي التي جعلت أربعمائة من الفدائيين المسلمين بقيادة عكرمة بن أبي جهل يبايعون على الموت ويقذفون أنفسهم وسط عدوهم يوم اليرموك [1]؛ ليوهـنوا مـن زخـم هجومه، وقد نجحوا في إيقافه، لتكون أرواحهم الطاهرة ثمناً لذلك النصر.

وكذلك إن استشعار الجنـدي المسـلم بأن ا معه، وهو يؤيده وينصره، يجعله يـرقى بروحه المعنوية في السماء، قال تعالى:﴿**وكَان حقّاً علَينَا نَصر الْمؤْمِنِين**﴾(الروم: من الآية47). وقال:﴿**إِنا لَنَنْصر رسلَنَا والذِين آمنُوا فِي الْحياةِ الدنْيا ويوم يقُوم الْأَشْهاد**﴾ (غافر:51).

وهكـذا يكون القرآن الكريم قد رسخ هذا المبدأ بشكل لم يستطع جيش أن يحققه عند جنوده، فكان هذا السبب خلف فتوحاتهم التي أذهلت الدنيا.

حادي عشر : مبدأ القوة الإدارية، والقيادية :

إن القوة الإدارية، والمهارات القيادية تؤدي دوراً كبيراً في حسم نتيجة المعركة،

(1) البداية والنهاية لابن كثير 11/7 ، 12 .

لذلك نجد أن جميع القادة يهتمون بالإجراءات الإدارية بشكل كبير[1].

قـال تعالى:﴿**وَأَعِدوا لَهم ما استَطَعتُم مِن قُوةٍ ومِن رِباطِ الْخَيلِ تُرهِبون بِهِ عدو اللهِ وعدوكُم وآخَرِين مِن دونِهِم لا تَعلَمونَهم الله يعلمهم وما تُنْفِقُوا مِن شَيءٍ فِي سبِيلِ اللهِ يوف إِلَيكُم وأَنْتُم لا تُظْلَمون**﴾(الأنفال:60).

إن الإعـداد كمـا سـبق الحديث عنه هو الترتيب والإجراءات السابقة للشيء، فـالإعداد للدرس يعني التحضير، وتجهيز القاعة، والوسائل التعليمية المطلوبة، والإعداد للجهـاد يعني إعداد الطاقة البشرية وتدريبها، وإعداد السلاح، ووضع الخطط و البرامج، وغير ذلك من أمور الحرب، وهذا يجسد مبدأ القوة الإدارية في أكمل صورة وأحسنها.

وقـد عـاب ا تعالى على المنافقين عدم إعدادهم للقتال في تبوك، واعتبر ذلك مقدمة للتخاف عن الغزو فقال:﴿ **ولَو أَرادوا الْخُروج لَأَعدوا لَه عدةً** ﴾(التوبة: من الآية 46).وعليه ندرك بمفهوم المخالفة أن المؤمن الصادق إذا عزم على أمر أعد له عدته.

وكذلك نجد أن كثيراً من الآيات التي دعت للجهاد في سبيل ا قد ندبت من قبلُ إلـى الإنفـاق، والذي يمثل تحصيله إجراء إدارياً من قِبل القيادة؛ لأنه لا يتصور أن يتم جهاد وقتال دون مال، قال تعالى:﴿**الَّذِين آمنُوا وهاجروا وجاهدوا فِي سبِيلِ اللهِ بِأَموالِهِم وأَنْفُسِهِم أَعظَم درجةً عِنْد اللهِ وأُولَئِك هم الْفَائِزون**﴾(التوبة:20).

وقـال كذلك: ﴿**إِنما الْمؤْمِنُون الَّذِين آمنُوا بِاللهِ ورسولِهِ ثُم لَم يرتَابوا وجاهدوا بِأَموالِهِم وأَنْفُسِهِم فِي سبِيلِ اللهِ أُولَئِك هم الصادِقُون**﴾(الحجرات:15).

ولو تأملنا سيرة النبي ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده كيف جيشوا الجيوش وفتحوا بها مشارق الأرض ومغاربها ودمروا بها الامبراطوريات رغم ضعف الإمكانات وقلـة ذات الـيد لعلمنا مدى القوة الإدارية في جمع الأموال وتجهيز الجيوش التي كانوا يتصفون بها .

(1) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام لجمال الخلفات ، وبهاء الدين أسعد ، ص110.

ثاني عشر : التكبير والذكر عند اللقاء :

قــال تعــالــى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**﴾ (الأنفال:45).

فقد أمرت الآية الكريمة المؤمنين بالثبات عند اللقاء، والاستعانة بالذكر.

قـال القرطبـي:" وحكم هذا الذكر أن يكون خفيفاً؛ لأن رفع الصوت في مواطن القتال رديء مكروه إذا كـان الذاكر واحداً، فأما إذا كان من الجميع عند الحملة، فحسن؛ لأنه يفت في أعضاد العدو[1].

وروي عن سعد بن أبي وقاص في القادسية أنه قال لجنده:" الزموا مواقفكم، ولا تحـركوا شـيئاً حـتى تصـلوا الظهر، فإذا صليتم فإني مكبر تكبيرة، فكبروا واستعدوا، واعلمـوا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم، واعلموا أنكم أعطيتموه تأييداً لكم، ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا، ولتستتم عدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينَشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا: لا حول ولا قوة إلا با "[2].

فالـنص السـابق يظهر أن التكبير والذكر كان مبدأ من المبادئ العسكرية الذي استخدمه القادة الأوائل وله آثاره الإيجابية الكبيرة على نفسية جند المسلمين لقوله تعالى : ﴿**ألا بِذِكْـر اللـهِ تَطْمَئِـن القُلُوب**﴾ (الرعد: 28) ، إضافة إلى آثاره السلبية على نفسية الأعداء المحاربين ، وعلاوة على أنه سبب من أسباب النصر كونه طاعة جل ثناؤه .

المبحث الثاني

الحرب النفسية والإعلامية في القرآن الكريم

تمـثل الحرب النفسية والإعلامية مبدأً مهماً من مبادئ الحرب، سواء في القرآن الكريم، أو في النظريات العسكرية المختلفة، ونظراً لأهمية هذا المبدأ ، فقد أفرد الباحثان الحديث عنه في مبحث مستقل.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 384/4.

(2) الجهاد والفدائية في الإسلام لحسن أيوب ، ص346.

إذ إن الحـرب النفسـية والإعلامية تشكل معركة مستقلة، وقد تُوفر علينا جهود معـركةٍ عسـكرية كبيرة. وليس ضرورياً أن تأتي ضمن خطة عسكرية، بل قد تمارس الحـرب النفسية زمن السلم، وحتى تتضح معالم هذا المبحث نتناول بالبحث الفروع الستة التالية:

أولاً : مواقـف قرآنـية في تصوير الحرب النفسية من قصتي موسى وسليمان عليهما السلام :

يزخر القرآن الكريم بالعديد من المواقف التي تتناول في طياتها الحرب النفسية، نذكر منها ما يلي:

1- قصة سيدنا موسى ﷺ مع السحرة:

قـال تعالى:﴿**قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى**﴾(طـه:61-62).

لقـد فاجـأ سـيدنا موسى ﷺ السحرة بعبارات تهديدية نارية تلفح وجوههم، وتغـرس الشك في نفوسهم، وتزرع الرعب في قلوبهم، وتشق صفهم، وتفرق جمعهم. إن الكلمات التي ألقاها موسى لو بذلها متصنع لزرع بها الرعب في القلوب، فما ظنكم حينما تخـرج مـن نبـي صادق، ورسول مخاص، إنها تهز الكيان.. وبالفعل فقد أثمرت هذه الكلمات، وآتت أكلها، فقد دب التنازع في صفوفهم، قال تعالى: ﴿**فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ**﴾ (طـــه: مـن الآية62).، لكنهم أرادوا أن يبقى هذا التنازع داخلياً، قال تعالى: ﴿**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى**﴾.

إن الحـرب النفسـية الصـادقة التي استخدمها موسى ﷺ قد أفقدتهم صوابهم، فـأخذوا يسـتعيدون وعـيهم، ويجمعون قواهم، ويستعلون على حقيقة ضعفهم، ويعزون أنفسهم بقولهم كما ذكر عنهم القرآن : ﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**﴾ (طـه:63).

وهكـذا اسـتطاع سيدنا موسى ﷺ أن يحدث في عدوه هزة بكلماته التي تمثل حرباً نفسية، وقد كانت موطئة لإيمانهم وثباتهم أمام فرعون فيما بعد[1].

---

(1) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د. أحمد نوفل، ص110.

2- قصة سيدنا سليمان ﷺ مع ملكة سبأ :

عـندما أرسـل نبي ا سليمان ﷺ خطاباً إلى ملكة اليمن يدعوها وقومها إلى الإسـلام، خاطـبها بالـثقة الكاملة، والعزة الإيمانية التي جعلتهم مضطربي النفوس. قال تعـالى:﴿**قالـتْ يـا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم* إنه من سليمان وإنه بسم اللهِ الرحمن الرحيم* ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين**﴾(النمل:29-31).

إن اضـطراب الملكـة وخوفهـا دفعها لجمع مستشاريها العسكريين والسياسيين لـتعرض علـيهم الأمـر، وإذا باضطرابها يمتد إليهم، وخوفُهم تبديه كلماتهم، ولا نغتر بقولهـم:﴿**نحـن أولـو قوة وأولو بأس شديد**﴾(النمل: من الآية33).إنها كلمات المواساة والـتعزية، أو العـناد والمكابـرة؛ لأن القوي الحقيقي ليس في حاجة إلى أن يؤكد قوته بـالقول، ويؤكـد حالة الخوف التي أصابتهم قولهم:﴿ **والأمر إليكِ فانظري ماذا تأمرين**﴾ (النمل: من الآية33).فهي ضعيفة بطبعها كامرأة، والاضطراب واضح في قولها، وإرجاع الأمر لها يعني اختيار المهادنة، وهذا ما كان بالفعل فقد بدأت تسوق للموقف القادم بقولها: ﴿**إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون**﴾(النمل: من الآية34). وقد انتهى الأمر بإعلان الاستسلام، ودخولها الإسلام قال تعالى: ﴿**وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين**﴾(النمل: من الآية44).

وخلاصة القول، إن رسالة سيدنا سليمان ﷺ كانت تحمل في طياتها حرباً نفسية موجهة ومدروسة وقد آتت هذه الرسالة أكلها، وصنعت في القوم صنيعها[1].

ثانـياً : مواقـف قرآنية في تصوير الحرب النفسية والإعلامية ضد النبي ﷺ وأصحابه رضي ا عنهم :

لقـد تعرضـت الدعـوة الإسـلامية وقائدها الأول ﷺ إلى حملات من الحرب الإعلامية والنفسية إن في مكة، وإن في المدينة، وقد تعددت أساليب هذه الحرب وطرقها، فكان منها:

---

(1) الحرب النفسية من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص16.

1- حرب السخرية والاستهزاء :

حيث سجل القرآن الكريم تلك السخرية، منها: حينما جمع النبي ﷺ وجوه قريش، وخطبهم على الصفا، وإذ بأبي لهب يصيح مستخفاً بهذا الخطاب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فأنزل الله تعالى سورة المسد[1] يقول فيها:

﴿**تَبَّتْ يدا أَبِي لَهَبٍ وتَبَّ * ما أَغْنَى عنْه مالُه وما كَسب * سيصلى نَاراً ذَاتَ لَهبٍ * وامرأَتُه حمالَةَ الْحطَبِ * فِي جِيدِها حبلٌ مِن مسدٍ**﴾(سورة المسد).

وقد رمته قريش بالجنون، قال تعالى:﴿**وقَالُوا يا أَيها الَّذِي نُزلَ علَيهِ الذِّكْر إِنك لَمجنُون**﴾ (الحجر:6).

تظهر الآية الكريمة حالة التهكم والسخرية بالنبي وقد ترددوا بذلك في قعر سوء الأدب[2].

وقد رمته قريش بالسحر والكذب، قال تعالى:﴿**وقَالَ الْكَافِرون هذَا ساحِر كَذَّاب**﴾(ص: 4).

وقد تحدث القرآن عن حالة السخرية العامة من أتباع هذه الدعوة، فقال تعالى:﴿**إِن الَّذِين أَجرموا كَانُوا مِن الَّذِين آمنُوا يضحكُون* وإِذَا مروا بِهِم يتَغَامزون * وإِذَا انْقَلَبوا إِلَى أَهلِهِم انْقَلَبوا فَكِهِين * وإِذَا رأَوهم قَالُوا إِن هؤُلَاءِ لَضالُّون**﴾(المطففين: 29-32).

تصور الآية موقفاً من مواقف الآخرة عندما يرى المجرمون العذاب فيسترجعون، أو يذكرون برحلة الاستهزاء والسخرية التي كانوا يمارسونها ضد المؤمنين[3].

إن هذه الحرب الإعلامية رغم أنها تبدو بسيطة، إلا أنها تحتل مساحة كبيرة في تشويه الصورة، وخلط الحقائق، والصد عن هذه الدعوة.

2- حرب الإغراء والإيذاء :

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 457/10.

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب 2127/4.

(3) فتح القدير للشوكاني 576/5.

لقد سلك الكفار كل السبل من أجل القضاء على هذه الدعوة، ومن أشكال الحرب النفسية التي مارسها القرشيون على النبي ﷺ الإغراء والإيذاء.

ومن صور الإغراء تلك المساومات التي حاولوا بها أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق؛ بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبي بعض ما هو عليه، قال تعالى: ﴿**فلا تُطِع الْمكذبين * ودوا لو تُدهِن فيدهِنُون**﴾(القلم:8- 9).

لكن العقيدة ليست كالتجارة، فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها، فهي حقيقة واحـ ـدة مـ ـتكاملة، ولا يمكـ ـن للإسلام أن يلتقي مع الجاهلية يوماً... لذا كان وحي ا لرسـ ـوله ﴿**فَـلا تُطِـع الْمكذبين**﴾، وخرجت الكلمات الصادقة من النبي الصادق ﷺ للدنيا بأسـ ـرها يخاطـ ـب بهـ ـا عمـ ـه:" **يا عم، وا لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره ا أو أهلك فيه ما تركته** "[1].

ويأتـ ـيه عتبة، ويعرض عليه المال، والجاه، والسؤدد، والملك، فيرد عليه بسورة فصـ ـلت:﴿**حـ ـم * تَـ ـنْزِيلٌ مِـ ـن الرحمن الرحِيمِ * كِتَاب فُصلَتْ آياتُه قُرآناً عربِياً لِقَومٍ يعلَمون...**﴾ حتى بلغ السجدة ثم قال:" قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك"[2].

ومـ ـن الإغـ ـراء، إلى التهديد والإيذاء، حيث تتقدم قريش بطلب صريح من أبي طالب أن يسلم النبي ﷺ لهم، وأن يرفع عنه الحماية، حيث قالوا:" يا أبا طالب هذا عمارة بـ ـن الولـ ـيد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصرته، واتخذه ولداً فهو لك، وأسـ ـلم إليـ ـنا ابـ ـن أخيك هذا الذي خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم نقتله، فإنما هو رجل برجل[3].

وهذا عبد ا بن مسعود ﷺ يتحدث عن إيذاء قريش للنبي ﷺ قائلاً:" بينما رسول ا ﷺ سـ ـاجد، وحو ـ ـله ناس من قريش من المشركين، إذْ جاءه عقبة بن أبي معيط بِسلى

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب 3660/6 ، والسيرة النبوية لابن هشام 277/1 .

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب 3661/6، والسيرة النبوية لابن هشام 305/1 ، 306 .

(3) المنهج الحركي للسيرة النبوية 86/1 ، والسيرة النبوية لابن هشام 277/1 .

جزور، وقذفه على ظهر النبي ﷺ، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة عليها السلام فأخذت من ظهره...."[1].

وبالجملة فإن النبي ﷺ وأصحابه رضي ا عنهم تعرضوا للإيذاء المادي والإيذاء المعـنوي بمختلف الأساليب والوسائل في دينهم ، وأنفسهم وأهلهم وأعراضهم ، وأموالهم وأوطانهم .

وهـذا منشور عنه الحديث في القرآن الكريم والسيرة النبوية حيث لا يتسع المقام هنا إلى تفصيل أكثر .

3- حرب الإشاعات والافتراءات :

ومـن أسـاليب الحـرب النفسـية التـي استخدمتها قريش ضد النبي ﷺ حرب الإشـاعات والافـتراءات، فقد كانت قريش تهدف من وراء هذا الأسلوب الخبيث تشويه صورة الدعوة ورائدها الأول أمام الوافدين، والحجاج القادمين إلى مكة[2].

وقد تناول القرآن الكريم جملة من الافتراءات الإعلامية، ورد عليها، ومنها:

- قوله تعالى:**﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ* فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾** (الطـور:33-34). فقـد زعم كفار مكة أن النبي ﷺ قد اختلق القرآن، وافتراه من عند نفسه، فكان الرد قاطعاً **﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾**[3].

- وفـي آيـة أخرى :**﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**(هود:13).

ثالثاً : الحرب النفسية ودورها في المعارك :

إن مـا تصـنعه الحرب النفسية من تأثير على نتيجة المعارك، أكثر مما يصنعه السـلاح، وتـنجزه الـنار، لذا نجد الجيش الناجح هو من يستخدم هذا السلاح إلى جانب

---

(1) صـحيح: أخـرجه الـبخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب(21) طرح جيف المشركين في البئر،ح3185، ص611.

(2) الحرب النفسية من منظور إسلامي ، د. أحمد نوفل ، ص32.

(3) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 392/3.

الســلاح الحديــدي، وقد استعمل القرآن الكريم الحرب النفســية لتدمير نفسية العدو ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾(آل عمران:12-13).

فقــد شنت الآية حرباً نفسية شديدة ضد اليهود، وذلك لأنهم فرحوا بما أصابنا في أحد، ومن قبل قد حقروا انتصارنا في بدر، وقالوا:" يا محمد، لا يغرنك أنك قاتلت أقواماً أغمــاراً[1] لا علــم لهــم بالحــرب فأصبت فيهم فرصة! وا لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس"[2].

فكــان لابــد مــن زعزعة ثقتهم بأنفسهم، وكسر كبريائهم، فجاء التهديد القرآني كالريح العاصفة:﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾، ثم قدم لهم نموذجاً ودليلاً، فحمل ذاكرتهم إلى يوم بدر، وكيف أيد ا بنصره الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكبيرة الباغية، فكان النصر حليف المؤمنين.

ويظهــر أثــر هذه الحرب النفسية التي شنها القرآن في غزوة بني النضير التي تبعت أحد، وذلك عندما بلغت بهم السفاهة أن يحاولوا اغتيال النبي ﷺ، وقد سجل القرآن الكــريم أثر هذه الحرب النفسية عليهم، وكيف أن الرعب امتلك قلوبهم، فقال: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِــمُ الرُّعْــبَ يُخْــرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ (الحشر: من الآية2).

0

وقــد واجــه القرآن العزيز حربهم الإعلامية ضد رسول ا ﷺ في مسألة تقطيع النخيل، حيــث قالوا:" أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع

(1) أغماراً: جمع غُمر وهــو الجاهــل الغِر الذي لم يجرب الأمور ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 385/3 ، وتفسير الطبري 399/2 .

(2) مختصــر تفســير ابن كثير للصابوني 471/3 ، وأسباب النزول للنيسابوري ، ص 69 ، ط مكتبة الهلال ، بيروت .

النخـيل وتحـريقها" [1] ، فأنـزل ا تعالى:﴿**ما قطعتم من لينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين**﴾(الحشر:5).

وقـد أثمرت الحرب النفسية ضد بني النضير، فأقعدتهم عن المواجهة، وحملتهم على التسليم لأمر رسول ا بالرحيل عن المدينة، و الحمد.

رابعاً : استخدام الكذب والتضليل في الحرب النفسية :

إن الأصـل فـي سلوك المسلم أنه يقوم على الصدق والوضوح، لكن الحرب لا تحتاج مثل هذه القيم الرفيعة إذا كان من شأنها أن تسبب الضرر للمسلمين، وتؤخر النصر عـنهم، لـذا فإنـه يباح في الحرب مالا يباح في غيرها، لا سيما إن كانت هذه الأساليب تساهم في إسراع إنهاء القتال، وحفظ الأنفس من الجانبين[2].

فعـن كعـب بن مالك فيما أخرجه البخاري ومسلم: كان رسول ا ﷺ قلما يريد غزوة إلا ورى بغيرها..."[3].

جـاء فـي فـتح الـباري:" ورى: سـتر، وتستعمل في إظهار شيء مع إرادة غيره..."[4].

فالنبـي ﷺ وهو قائد الأمة يعلن غير ما يريد، فإذا أراد الشرق سأل عن الغرب، وأعد لذلك أمراً، فيظن الجميع أنه يريد الغرب، وهو في الأصل يريد الشرق.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:" **الحرب خدعة**"[5].

---

(1) السـيرة النـبوية لابن هشام 994/3 ، 995 ، وأسباب النزول للنيسابوري ، ص 298 ، ط مكتبة الهلال ، بيروت .

(2) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية لمحمد خير هيكل 1294/2.

(3) صـحيح: أخـرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب(103) من أراد غزوة فورى بغيرها، ح2948، ص566.

(4) فتح الباري لابن حجر 132/6.

(5) صحيح: أخرجـه البخـاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب(157) الحرب خدعة، ح3030، ص579.

جـاء في فتح الباري:" وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خـداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك، لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه... قال ابن العربي: الخداع في الحرب يقع بالتعريض، والكمين، وغير ذلك..."(1).

وقـال الـنووي:" اتفـق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن الخداع، إلاّ أن يكون فيه نقض عهد، أو أمان فلا يحل، وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء: أحدها في الحرب"(2).

ومـن أمثلة هذا الخداع:" ما فعله علي بن أبي طالب ﷺ يوم الخندق حين بارزه عمـرو بـن ود، قـال أليس قد ضمنت لي أن لا تستعين علي بغيرك؟ فمن هؤلاء الذين دعوتهم؟ فالتفت كالمستبعد لذلك، فضرب على ساقيه ضربة قطع رجله"(3).

وعـن جابـر بـن عبد ا رضي ا عنهما: أن النبي ﷺ قال:" من لكعب بن الأشـرف فإنه قد آذى ا ورسوله؟". قال محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله يا رسول ا ؟ قال:" نعم" قال: فأتاه فقال: إن هذا يعني أن النبي ﷺ قد عنّانا وسألنا الصدقة، قال: وأيضاً وا لتملـنه، قال: فإنا قد اتبعناه، فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى ما يصير أمره، قال: فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه فقتله"(4).

قـد تـرجم البخاري لهذا الحديث بقوله :" الكذب في الحرب"، وقد أذن النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة بالكذب تصريحاً وتلميحاً، وذلك يؤخذ من زيادة الحديث التي لم تذكر في هذه الرواية من قول محمد بن أبي مسلمة:" ائذن لي أن أقول، قال: قل"(5).

---

(1) فتح الباري لابن حجر 138/6.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي 265/6.

(3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية لمحمد خير هيكل 1295/2.

(4) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب(158) الكذب في الحرب، ح3031، ص579.

(5) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب(159) الفتك بأهل الحرب، ح3032، ص580.

وعـن أسـماء بنت يزيد، قالت: قال رسول ا ﷺ:" **لا يحل الكذب إلا في ثلاثٍ: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس**"[(1)].

ويقـول ابـن شهاب:" ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاثٍ: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها"[(2)].

يقـول الـنووي:" الظاهر إباحة حقيقة الكذب في الأمور الثلاثة، لكن التعريض أولى"[(3)].

ويمكنـنا تأصـيل هـذا المبدأ من القرآن من قوله تعالى : ﴿ **وما آتَاكُم الرسولُ فَخُـذُوه** ﴾ (الحشـر: 7) ، ومن قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إن كُنْتُم تُحِبون الله فَاتبِعوني يحبِبكُم الله** ﴾ (آل عمران: 31) ، ومن قوله تعالى : ﴿ **لقَد كَان لَكُم فِي رسول اللهِ أُسوةٌ حسنَةٌ**﴾ (الأحزاب:21) .

ويمكنـنا أن نسـتأنس لهذا المبدأ من الآيتين التاليتين الواردتين في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة اليمن ، قال تعالى : ﴿ **قَالَ نَكروا لَها عرشَها نَنْظُر أَتَهتَدِي أَم تَكُـون مِن الَّذِين لا يهتَدون** ﴾ (النمل:41) ، وقال أيضاً : ﴿ **قِيلَ لَها ادخُلِي الصرح فَلَما رأَتْـه حسِـبتْه لُجةً وكَشَفَتْ عن ساقَيها قَالَ إِنه صرح ممرد مِن قَوارِير قَالَتْ رب إِني ظَلَمتُ نَفْسِي وأَسلَمتُ مع سلَيمان لِلهِ رب الْعالَمِين** ﴾ (النمل:44) .

فـنلاحظ من الآيات الكريمة أن سيدنا سليمان عليه السلام مارس الحرب النفسية على بلقيس من خلال التمويه مما دفعها إلى الاستسلام والإسلام ، وا أعلم .

وبالنظر في جميع النصوص السابقة يظهر للباحثين جواز التضليل، والكذب في الحـرب ضـد الأعـداء، وبناء عليه يجوز التضليل والكذب في شن الحرب النفسية ضد الأعـداء؛ لأن الحـرب النفسية تمثل جزءاً من الحرب الشاملة ضد الأعداء، شريطة أن تساهم في تعجيل النصر، وكسر شوكة الأعداء، وحفظ الأنفس، وا أعلى وأعلم.

---

(1) حسـن: أخـرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب(26) ما جاء في إصلاح ذات البين، ح1938، 105/4.

(2) صحيح مسلم، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، ح2605، ص1360.

(3) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 84/6.

خامساً : ضرورة استخدام وسائل الإعلام الحديثة :

تشـكل وسائل الإعلام الحديثة دوراً كبيراً في التأثير على الناس إيجاباً أو سلباً، ونـرى كـيف استطاع أعداء ا استخدام هذه الوسائل الإعلامية لصالحهم بشكل كبير، فشنوا علينا من خلالها حربهم الإعلامية والنفسية، لذا فقد تعين على الجماعة المسلمة أن تمتلك هذه الأداة لتوظيفها واستخدامها فيما ينفع الإسلام والمسلمين.

يقـول الدكتور منير الغضبان:" وما أحوج الحركة الإسلامية اليوم التي تخوض معركتها العسكرية أن تعطي الجانب الإعلامي حقه، وطبيعة الحرب العالمية اليوم حرب إعلامية"[(1)].

ويقـول سـعيد حـوى:" والولوج إلى أجهزة الإعلام العالمية والمحلية من قبل المؤمنين بالإسلام أصل لا ينبغي التفريط فيه إلا لمانع شرعي"[(2)].

إنـنا الـيوم أمـام طوفـان جـارف من وسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، والمقـروءة، ولم تعد الوسائل القديمة قادرة على الوقوف في وجه هذا الطوفان، لذا فعلى الحركة الإسلامية اليوم أن تسعى بكل قوة لإيجاد قناة فضائية فأكثر لا تخضع لتأثير أي دولـة من الدول المستفيدة من خلط المفاهيم في ذهن الإنسان، فتقوم بتصحيح التصورات الخاطئة، والمفاهيم المغلوطة، والأفكار المنحرفة.

وإن امتلاك قناة فضائية أو أكثر لا يغني عن امتلاك الإذاعات المحلية، وإصدار المجلات والصحف، الشهرية، أو الأسبوعية، أو اليومية، بالإضافة إلى المواقع الإلكترونية فـي شـبكة المعلومات الدولية ، واستخدام كل ذلك في نصرة الإسلام والمسلمين والجهاد والمجاهدين .

باختصـار، لا نستطيع أن نمارس الحرب الإعلامية والنفسية اليوم على مستوى مؤثر دون امتلاك هذه الوسائل الإعلامية المتقدمة.

وتأصـيـل هـذا المبدأ مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **وَأَعِدوا لَهم ما استَطَعتُم مِن قُوةٍ** ﴾ (الأنفال: 60) .

---

(1) المنهج الحركي للسيرة النبوية 369/2.

(2) جند ا تخطيطاً لسعيد حوى ، ص101.

فوســائل الإعــلام عامة والفضائيات خاصة ما دامت تصب في مصلحة الجهاد والمجاهديــن ، بل وغيابها يؤثر سلباً على الجهاد والمجاهدين خاصة في الحرب النفسية والمعنوية والإعلامية ، فإذاً لا بد منها ، وتعتبر ضمن القوة التي أمرنا بإعدادها في الآية والقاعدة الشرعية تقول : (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) .

قال أبو حيان في معنى الآية : "والظاهر العموم في كل ما يتقوى به على حرب العدو ... كالرمي ، وركوب الخيل ، وقوة القلوب ، واتفاق الكلمة" [1] .

فوسائل الإعلام الحديثة لها دور مهم ومباشر في التأثير على قوة القلوب واتفاق الكلمة ... الخ سواء بالإيجابية في جهة الجهاد والمجاهدين أو بالسلبية في جهة الأعداء .

سادساً : وسائل الوقاية من الحرب النفسية المعادية :

وسائل الوقاية كثيرة ومتعددة، نذكر منها ثلاثاً فقط لأهميتها:

1- الإيمان وقوة العقيدة [2] :

فالإيمــان بــا ، وقــوة العقيــدة، تمثــل الصخــرة التــي تتحطم عليها كل المحاولات اليائسة للنيــل من الدعــوة الإسلامية، بما في ذلك الحرب النفسية، وقد ظهر فضــل العقــيدة على الفئة المؤمنة عندما مارس أبو سفيان الحرب النفسية ضد المسلمين، وأرســل إليهــم من يخوفهــم من قــوة الجيش الكافر، فكانت الإجابة العقدية "حسبنا ا ونعم الوكيل".

وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف في آل عمران فقال تعالى: ﴿**الذِين قَالَ لَهم الناس إِن الناس قَد جمعوا لَكُم فَاخْشَوهم فَزادهم إِيماناً وقَالُوا حسبنَا الله ونِعم الْوكِيلُ * فَانْقَلَـبوا بِـنِعمةٍ مِن اللهِ وفَضلٍ لَم يمسسهم سوء واتبعوا رِضوان اللهِ والله ذُو فَضلٍ عظِيمٍ**﴾(آل عمران:173-174).

فالمؤمن الحق لا تؤثر فيه الحرب النفسية، ولا يخاف الوعيد، ولا يرهبه التهديد، وإن مــن أهداف الحرب النفسية التخويف من الموت والفقر، والمؤمن لا يخشى الموت،

---

(1) البحر المحيط 511/4 .

(2) الحرب النفسية من منظور إسلامي ، د. أحمد نوفل ، ص206.

ولا يخـاف الفقـر؛ لأنه يعلم جيداً أن هاتين القضيتين بيد ا وحده، يقدر فيهما ما يشاء ويختار.

قال تعالى:﴿**وما كان لِنَفْسٍ أَن تَموتَ إلا بِإذْنِ اللهِ كِتاباً مؤَجلاً** ﴾(آل عمران: من الآية145). فالموت كتاب مؤجل يأتي في وقته الذي يختاره ا تعالى.

وقـال كذلك: ﴿**وما مِن دابةٍ فِي الأَرضِ إلا على اللهِ رِزقُها**﴾(هود: من الآية6). فالرزق إذاً بيد ا فلا خشية ولا خوف من الفقر .

والمؤمـن كذلـك لا ترهـبه قـوة الأعداء، وغطرستهم، وتفوقهم في عددهم وعـتادهم، قـال تعالـى :﴿**قالَ الذِين يظُنون أَنهم ملاقُو اللهِ كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبتْ فِئَةً كَثِيرةً بِإِذْنِ اللهِ والله مع الصابِرِين**﴾(البقرة:249).

والمؤمـن لا يتعاطى مع إشاعات الحرب النفسية المعادية، بل يرد الأمر لأهله، قال تعالى:﴿**وإِذَا جاءهم أَمر مِن الأَمنِ أَوِ الْخَوفِ أَذَاعوا بِهِ ولَو ردوه إِلَى الرسولِ وإِلَى أُولِـي الأَمـرِ مِنْهم لَعلِمه الَّذِين يستَنْبِطُونَه مِنْهم ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورحمتُه لاتبعتُم الشيطَان إِلا قَلِيلاً**﴾(النساء:83).

ويرى الباحثان : أن أهم علاج للحرب النفسية والإعلامية التي يمارسها العدو هو بذكر ا وخاصة "حسبنا ا ونعم الوكيل" ، والصبر ، والتقوى وهي : طاعة ا بامتثال أوامـره واجتنـاب نواهيـه ، قـال تعالـى : ﴿ **لَتُبلَوُن فِي أَموالِكُم وأَنْفُسِكُم ولَتَسمعن مِن الَّذِين أُوتُـوا الْكِتَـابَ مِن قَبلِكُم ومِن الَّذِيـن أَشْركُوا أَذًى كَثِيراً وإِن تَصبِروا وتَتَّقُوا فَإِن ذَلِك مِن عزمِ الأُمورِ**﴾ (آل عمران:186) .

2- كشف أهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية [1] :

فلقـد حرص القرآن الكريم على فضح أساليب العدو من كفار أو منافقين، ومن ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿**يا أَيها الَّذِين آمنُوا إِن تُطِيعوا فَرِيقاً مِن الَّذِين أُوتُوا الْكِتَاب يردوكُم بعد إِيمـانِكُم كَافِرِيـن**﴾(آل عمـران:100). فقد بينت الآية الكريمة أن من ضمن أهدافهم محاولة تفرقة المسلمين بما يبثونه من إشاعات كاذبة.

---

(1) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د. أحمد نوفل ، ص208.

ب- وقوله تعالى:﴿**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً**﴾(الأحزاب:12).

أوضحت الآية محاولة المنافقين تشكيك المسلمين في وعد الله ونصره، وهو نوع من الحرب النفسية، وقد فضح الله عز وجل هذه الأساليب لنكون على حذر منها.

3- كتمان الأسرار، ونشر الوعي الأمني [1] :

وللوقايـة من الحرب النفسية ينبغي أن تكتم أسرار الأمة والجيش عند أهل العلم من القادة والمسئولين؛ لأنهم الأدرى بكيفية التعامل مع هذه المعلومات، يقول الإمام علي:" ليس كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حضر أهله، ولا كل من حضر أهله حان وقته".

قـال تعـالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسـُولِ وَإِلَـى أُولِـي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾(النساء:83).

فإذا تحقق الوعي الأمني عند الجنود نقلوا كل ما يصل إليهم إلى أصحاب القرار والعلم والتحليل والاستنباط، فعلموا ما وراءه، وعرفوا كيف يتخذون قرارهم في ضوئه.

المبحث الثالث

مبادئ الحرب في سورة العاديات

(دراسة تطبيقية تحليلية)

نتناول بإذن الله في هذا المبحث مبادئ الحرب التي تضمنتها سورة العاديات في آياتها الخمس الأول، وذلك كنموذج للفكر العسكري في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً**﴾(العاديات:1-5).

أولاً : قوله تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾.

أ- المعنى:

العاديات: هي الخيل حال كونها تعدو، وعليه عامة أهل التفسير واللغة[1].

---

(1) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د. أحمد نوفل ، ص209.

ضبحاً: قال قتادة:" **تضبح إذا عدت، أي تحمحم**"[2]

وقيل كانت تُكْعم[3] لئلا تصهل، فيعلم العدو بهم، فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة[4].

وقال الفراء: **الضبح صوت أنفاس الخيل إذا عدت**[5].

وخلاصة الأمر في الضبح أنه صوت أنفاس الخيل كونها تعدو؛ إما لشدة سرعتها، وإما لتكعمها.

ب- المبادئ العسكرية في الآية:

قد تضمنت الآية بعض المبادئ العسكرية، ومنها:

1- مبدأ المفاجأة والمباغتة:

حيث نعني به الظهور أمام العدو في وقت لا يقدره، وبصورة لا يتوقعها، وبأسلوب يجهله.

ويرى الباحثان أن في الآية السابقة تحقيقاً لمبدأ المباغتة، وذلك لأن العدو دليل السرعة، والسرعة سبيل من سبل المباغتة والمفاجأة.

فإنك إذا أردت أن تباغت أحداً أسرعت حتى تصل في زمان لا يتوقعه، وكذلك إن استخدام كلمة الضبح للخيل بدل الصهيل، لشدة سرعتها، وهذا يساهم في تحقيق مبدأ المفاجأة.

2- مبدأ الأمن:

ونرى أيضاً أن هذه الآية تتضمن مبدأ الأمن، فإن السرعة، وكتم الصوت، إنما هي إجراءات أمنية للمحافظة على سلامة الجند والقادة المغيرين على الأعداء.

---

(1) تفسير الطبري 556/7 ، والدر المنثور للسيوطي 599/8 وما بعدها ، وصفوة التفاسير للصابوني 593/3 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 388/10.

(3) تُعكم: أي يشد فاها بشيء يوضع فيه (لسان العرب لابن منظور 680/7).

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 388/10.

(5) فتح القدير، للشوكاني ، ص 695.

ثانياً : قوله تعالى :﴿ فَالْمورياتِ قَدحاً﴾.

أ- المعنى:

الموريات: هي التي تُوري النيران قدحاً، فالخيل توري النيران بحوافرها، والناس يورونها بالزند[1].

قـال ابـن عباس : عكرمة، وعطاء، والضحاك وقتادة : **هي الخيل حين تُوري النار بحوافرها**[2].

وأصل القدح هو الاستخراج، ومنه قدحت العين: إذا أخرجت منها الماء الفاسد[3]. ومنه يسمي الناس آلة إشعال النار في بلدنا "قداحة".

وخلاصة الأمر في معنى الآية:

أن الخـيل العاديات لشدة سرعتها تحول صهيلها إلى ضبح، وتحولت حوافرها إلى سنابك تضرب الصخر والحجر فتوري منهما الشرر.

ب- المبادئ العسكرية في الآية:

1- الهجوم والمبادأة:

فقـد رسـمت الآيـة الكريمـة صـورة لشكل الهجـوم الذي يشنه فرسان الإغـارة، إنـه هجـوم خـاطف، وسريع مرعب، لا يقـوى العـدو على مواجهتـه بسـهولة، ويسـتخدم هـذا النوع من الهجـوم غالبـاً للتغلغل القصير المدى في مناطق العدو، وذلك لتحقيق أهداف مرحلية[4].

هـذا المـبدأ استخدمه الرسول ﷺ في جهاده ، ومن ذلك استخدمه في غزوة بني المصـطلق ، فقد روى أبو داود عن نافع قال : "قد أغار نبي ا ﷺ على بني المصطلق

(1) تفسـير الطبـري 557/7، وصفـوة التفاسير للصابوني 193/3 ، وتفسير الجلالين للمحلي والسيوطي 808/3 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 390/10 ، والدر المنثور للسيوطي 600/8 وما بعدها .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 390/10، ولسان العرب لابن منظور 258/7 .

(4) التعبئة الجهادية في الإسلام لأحمد المومني ، ص209.

وهم عارون ، وأنعامهم تسقي على الماء ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى سيدهم ، وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث" [1] .

وقـ ـد اسـتخدم أمـراء المسلمين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ﷺ وعلى مدار التاريخ هذا المبدأ .

ومـثال ذلـك مـا فعله المثنى بن حارثة في هجومه الخاطف على سوق بغداد، وهجماته على سوق الخنافس والأنبار[2].

وكـذا ما فعلـه الجيش المصري والجيش السوري في آخر حروبهم مع إسرائيل عام 1973م .

ويـرى الباحثان أن مثل هذا النوع من الهجوم يناسب حرب العصابات، كحربنا التي نخوضها ضد المحتل على أرضنا فلسطين.

2- المعنويات:

إن مـثل هـذا الهجوم السريع، الخاطف من شأنه أن يرفع الروح المعنوية عند الجـنود المشـاركين فـي الإغارة، أو عند من يقف خلفهم، وله أثر عكسي على الجنود والقيادة التي يقع عليها الهجوم.

إن أجواء الهجوم كما رسمتها الآية تجعل الجند في رعب لا يحسدون عليه، وفي معـنويات ونفسيات في غاية التردي ربما تصل إلى درجة الاستسلام ، ففي لحظة هدوء، وإذا بخـيل فـي غاية السرعة تباغتهم وتقتحم عليهم معسكرهم، وكل ذلك يأتي مصحوباً بأصـوات الحمحمة والضبح المنبعثة من الخيل، إضافة إلى النيران التي تقدحها العاديات في عدوها.

---

(1) سنن أبي داود ، ك (الجهاد) ب (في دعاء المشركين) 42/3 ، 43 ، ح (2633) ، قال عنه أبو داود "هذا حديث نبيل" .

(2) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص209.

ثالثاً : قوله تعالى :﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾.

أ- المعـنى: أي الخـيل تغير على العدو عند الصبح، وعن ابن عباس: كانوا إذا أرادوا الغارة سروا ليلاً، ويأتون العدو صبحاً؛ لأن ذلك وقت غفلة الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**﴾(الصافات: من الآية177)[1].

وقيل: "**صبحاً**" أي علانية فلعزهم أغاروا نهاراً[2].

ونرى أن الأول أقرب إلى حال سلفنا الصالح، فقد كانت معظم غاراتهم في وقت الصباح، وذلك كما في غزوة خيبر.

يقـول المباركفوري:" وكان النبي ﷺ إذا أتى قوماً بليل لم يقْرُب بهم حتى يصبح، فلما أصبح صلى الفجر بغَلَس[3]، وركب المسلمون..."[4].

ب- المبادئ العسكرية في الآية الكريمة:

1- وقت الهجوم:

تحـدد الآيـة زمن الهجوم، وهو وقت الصباح؛ وذلك لأن الناس في هذا الوقت يكونـون فـي حالة غفلة واسترخاء، حيث جرت عادة الكافرين والعصاة، أن يبالغوا في السهر، فإذا دخل الفجر غَطوا في نوم عميق.

2- المباغتة:

وقد تضمنت الآية مبدأ المباغتة؛ لأن اختيار وقت الفجر الذي يكون فيه الناس في غفلة من أمرهم يحقق هذا المبدأ بشكل كامل.

وكذلـك فـإن كلمة ﴿**الْمُغِيرَاتِ**﴾ في الآية توحي بمبدأ المباغتة، لأن الإغارة هي سرعة السير[5].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 391/10.

(2) المصدر السابق .

(3) الغلـس: هـو ظلام آخـر الليـل. (لسان العرب لابن منظور 654/6) ، ومختار الصحاح للرازي ، ص 478.

(4) الرحيق المختوم للمباركفوري ، ص411.

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 392/10.

ويقول الشوكاني:" يقال: إنما يغير إغارة: إذا باغت عدوه بقتل، أو أسر.."[1].

والمغير غالباً ما يباغت العدو بإغارة وإلا لما كان لغارته أي معنى.

3- المبادأة:

أي البدء في الهجوم، وهو متحقق بالإغارة.

4- الاقتصاد في الجهد:

وهـو مبدأ متحقق في الآية، إذْ إن اختيار وقت الفجر للإغارة يعني توفير كثير مـن الجهد، فحالة الغفلة والنوم، وتحقيق المباغتة، تساعد الغائرين بشكل جيد على تحقيق النصر بأقل جهد، وأسرع وقت.

رابعاً : قوله تعالى : ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾.

أ- المعنى:

أي الخيل تثير الغبار بشدة العدو في المكان الذي أغارت فيه[2].

ب- المبادئ العسكرية في الآية:

1- مبدأ التغطية:

من أبرز المبادئ التي يحققها النقع – الغبار – المثار مبدأ التغطية، حيث في ظل الغـبار المتصـاعد والمتراكم، تضعف الرؤية، ويصعب تحديد الأهداف، ويقع العدو في حـيرة شـديدة، ويمكـن أن نستعيض عن الغبار في زماننا بالقنابل الدخانية، بحيث تنفذ الضـربة الأولى للعدو، وبعد ذلك تضرب القنابل الدخانية، ويتم تنفيذ ما تبقى من أهداف فـي ظل ربكة العدو وحيرته، وقد يستعاض عنها بإشعال الإطارات، أو خنادق النفط ... الخ .

2 - المعنويات:

إن حالـة الغـبار المتراكم، والصوت المرتفع للخيل، والسلاح، أو للدبابات في زمانـنا يمثل حرباً نفسية للعدو، تنال من معنوياته، فيصبح لا يفكر في أكثر من أن ينجو بنفسه.

---

(1) فتح القدير للشوكاني 696/5.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 392/10.

خامساً : قوله تعالى : ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾.

أ- المعنى: أي وسطن بركبانهن جمع العدو[1].

ب- المبادئ العسكرية في الآية:

1- مبدأ تحديد موضع الضرب (الاختراق):

فقد حددت الآية الكريمة الموضع الذي يستهدفه المغيرون لنجاح غارتهم، وتحقيق هدفهم، وإن ضرب وسط مجمع العدو يحقق جملة من الإنجازات منها:

- **ضـرب قيادة الأعداء :** فالقيادة غالباً ما تتمترس في منطقة الوسط لبعدها عن الخطر الذي يهدد الأطراف بين الحين والأخر ، ذلك أن الوصول للوسط الذي تتمركز فيه القيادة فـي بداية الهجوم أسهل بكثير من الوصول إليه عند ضرب الأطراف، إذ إن الإجراءات الأمنـية المـتخذة قبل الإغارة تكون أقل بكثير من الإجراءات المتخذة بعد بداية الإغارة. وبالتالي يمكن أن تصيب القيادة بشكل سهل.

- **تفـريق جمع الأعداء:** إن ضرب الوسط يعني أن عملية الفرار ستتخذ طريقها في غير اتجـاه مـنطقة الوسط، وكلما اتسعت دائرة هروبهم، كلما زاد تفرقهم، وتمكنت مجموعة الإغارة من أن تنفذ مهامها الرئيسية.

- **إرعـاب وإرهاب الأعداء**: إن ضرب الوسط يعني سقوط كل أنظمة الحماية، ونظريات الأمـن التـي وضـعها الأعـداء، وهذا يحمل في طياته تدميراً نفسياً للقيادة صاحبة هذه الـنظرية، ويمثل كذلك شَبحاً مرعباً لجميع الجنود، فإذا لم تستطع القيادة أن تحمي مقرها فهي عن حماية غيرها أعجز، وبالتالي تُنزع الثقة من القيادة، ويسود الشك في نفوس كل الجنود ، وينغرس الرعب والخوف في قلوبهم .

2- اختيار القصد والمحافظة عليه:

إن الـتحديد السـابق لموضع الضرب، ثم أخذ كل الإجراءات لأجل بلوغه، هذا يعنـي أن الهـدف محدد، والقصد حاضر، والمحافظة عليه قائمة، وفي ذلك تحقيق لمبدأ اختيار القصد والمحافظة عليه.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 393/10 ، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي 214/2 .

سادســاً : قو ـله تعالى : ﴿ والْعادِياتِ ضبحاً * فَالْموريات قَدحاً * فَالْمغِيراتِ صبحاً * فَأَثَرن بِهِ نَقْعاً * فَوسطْن بِهِ جمعاً ﴾(العاديات : 1-5) .

إن تطبـيق المـبادئ العسكرية في هذه الآيات يعطينا قوة إدارية، ونجاحاً فعلياً، وإنجازاً كبيراً ، ذلك أن هذه الآيات قدمت تصوراً كاملاً لعمل عسكري ناجح.

يقـول سيد قطب:" يقسم ا بخيل المعركة، ويصف حركاتها، واحدة واحدة، منذ أن تبدأ عدوها، وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها حـتى تـوري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع والغبار، غـبار المعـركة على غير انتظار، وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة، فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب"[1].

فهـذا المشهد الباهر ، وهذا العمل الرائع ، وهذا النجاح المذهل ، لا بد أن ينتج عن توكل على ا وتسديد منه جل ثناؤه أولاً ، ثم عن تخطيط إداري دقيق ناجح ، وهذا هو مبدأ (قوة الإدارة والقيادة) .

الخاتمة

إن البحـث في القرآن الكريم شيق ممتع، وإن الدرر التي يحويها عظيمة مفيدة، وهـي لا تنتهي بل تزداد في كل يوم وتتعاظم، وإن انتهاءنا عند هذه النقطة من البحث لا يعنـي النهاية، بل ربما لم نتجاوز في بحثنا هذا خط البداية، لذا فإن الباب أمام الدارسين مفتوح، والمجال أمام الباحثين رحب.

أولاً/ أهم نتائج البحث:

يمكن تلخيص أهم نتائج البحث فيما يلي :

1- يمـثل التخطـيط العسـكري العنصر الأهم في حسم نتائج المعارك، وقد اهتم القرآن الكـريم بهـذا الجانـب، وقـدم لنا نظريات في التخطيط الإداري، بحيث يتم التحرك العسـكري وفق نظرية الدوائر التخصصية، وتوزع الأعمال التي يتطلبها الجيش على هذه الدوائر تبعاً للقدرة والكفاءة.

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب 3958/6.

2- تمـثل المهـارات الميدانـية دوراً مهماً في تحديد نتائج الجولات العسكرية، وقد ذكر القـرآن الكـريم جملـة مـن المبادئ العسكرية الميدانية، كمبدأ الردع، وحشد القوة، واختـيار القصـد، والاقتصـاد فـي القوة، والمباغتة، والتعاون، والمبادأة، والمرونة وغيرها من المبادئ التي سجلها القرآن.

3- إن الحـرب النفسـية قـد تحسم معركة عسكرية كاملة، وقد تمنع وقوعها، أو تحسم نـتائجها قبل وقوعها، لذا فقد اهتم القرآن الكريم بالحرب النفسية، وسجلها في آياته، فعـرض للحـرب النفسية ضد المسلمين، واستخدمها ضد المشركين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾(آل عمران: 12).

4- لقـد تناول القرآن الكريم بالدراسة والتحليل بعض الغزوات، وقدم لنا في طياتها فوائد كثـيرة جـداً للعسكرية الإسلامية سواء في العقيدة أو التشريع أو التربية أو الأخلاق أو أصول ومبادئ الحرب كالإعداد والتخطيط والتنفيذ والأساليب والوسائل والوقاية...الخ.

ثانياً : أهم التوصيات :

يمكن عنصرة أهم التوصيات فيما يلي :

1- يوصـي الباحـثان الجـيوش الإسلامية في كل مكان وزمان بضرورة اعتماد أصول ومبادئ الحرب المنبثقة عن القرآن الكريم والسيرة النبوية المشرفة .

2- يوصـي الباحـثان الأمة الإسلامية عموماً ، والجيوش الإسلامية خصوصاً بضرورة امـتلاك مـا استطاعوا من الوسائل الإعلاميـة خاصة الحديثة وذلك لدورها الكبير وتأثيرها الخطير إيجاباً وسلباً في الحرب الإعلامية والنفسية والمعنوية ، وذلك مثل : الفضائيات ، والمواقع الإلكترونية في شبكة المعلومات الدولية ، إضافة إلى الإذاعات والمجلات والصحف ... الخ .

3- يوصـي الباحـثان الدارسين والباحثين بضرورة الوقوف ملياً أمام النصوص القرآنية للجهـاد وللغـزوات ، لاسـتخلاص الفوائـد الميدانيـة ، والمبادئ العسكريـة ، والتوجـيهات العقائديـة والأخلاقية والنفسية والتشريعية ... الخ ، وذلك لإفادة الأمة عامة ، والمجاهدين في سبيل ا خاصة .

فهرس المصادر والمراجع

(1) القرآن الكريم.
(2) أسـباب الـنزول، أبـو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، مكتبة الإيمان - المنصورة ، ط (مكتبة الهلال ، بيروت) .
(3) الأم لأبـي عـبد ا محمد بن إدريس الشافعي برواية الربيع ، ط1 (1321هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية بولاق ، مصر .
(4) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، مطبعة الإمام بالقاهرة ، مصر .
(5) البداية والنهاية، للإمام الحافظ لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، مكتبة الصفا، ط1423هـ -2003م ، ط (1398هـ -1978م) دار الفكر ، بيروت .
(6) الـبحر المحـيط لمحمـد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، ط2 (1403م-1983م) دار الفكر ، بيروت .
(7) التعبئة الجهادية في الإسلام، أحمد المومني، دار الأرقم- الأردن، ط1، 1406هـ -1986م..
(86) تفسـير الإماميـن الجليليـن لجـلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي ، ط (الأنوار المحمدية) .
(9) تفسير الطبري، تهذيب وتحقيق د. بشار معروف، عصام الحرستاني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ -2002م ، ط (1388هـ -1968م) ، الحلبي ، مصر .
(10) تفسـير القـرآن العظـيم المعـروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار إحياء التراث العربي، ط1423هـ - 2002م.
(11) التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، ط (دار الفكر) .
(12) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدا محمد بن أحمد القرطبي، دار الحديث القاهرة 1423هـ 2002م.
(13) جند ا تحطيطاً، سعيد حوى، مؤسسة الخليج –القاهرة، ط1، 1408هـ - 1988م.
(14) الجهـاد والفدائـية في الإسلام، حسن أيوب، المطبعة العصرية – الكويت، ط1، 1397 – 1977م

(15) الجهـ ـاد والقـتال فـي السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، دار البيارق، دار الحديث – بيروت، ط2 ، 1417هـ - 1996م.
(16) جولة تاريخية في حياة الخلفاء الراشدين، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع – جدة، ط1، 1406هـ - 1986م.
(17) الحرب النفسية، د. أحمد نوفل، دار الفرقان – الأردن، ط3، 1409هـ - 1989م.
(18) الحـرب النفسـية من منظور إسلامي، د. أحمد نوفل، دار الفرقان، عمان- الأردن، ط2، 1407هـ -1987م.
(19) الـدر المنـثور في التفسير المأثور للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، ط (1403 هـ -1983م) ، دار الفكر .
(20) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1411هـ - 1991م.
(21) سـنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمـان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .
(22) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1 (1408هـ - 1987م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
(23) السنن الكبرى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
(24) السـيرة النـبوية، ابـن هشام، تحقيـق: طه عبدالرؤوف سعد، نشر فيصل عيسى البابي الحلبي ، ط (دار الفكر) .
(25) صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الفجر للتراث – القاهرة، ط1، 1420هـ - 1999م.
(26) صـحيح الـبخاري للإمام أبي عبدا محمد بن إسماعيل البخاري ط(1419هـ - 1998) بيت الأفكار الدولية .
(27) صفوة التفاسير لمحمد الصابوني ، ط (1402هـ -1981م) دار القرآن الكريم ، بيروت .
(28) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، جمال يوسف الخلفات، بهاء الدين أسعد، دار المنارة- الأردن، ط2، 1403هـ - 1983م.

(29) فـتح الباري، بشرح صحيح الإمام البخاري، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ط3، 1407هـ.

(30) فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للإمام محمد علي الشوكاني، دار الحديث – القاهرة، 1418هـ -1997م.

(31) فن الحرب الإسلامي، بسام العسلي، دار الفكر، 1408هـ -1988م.

(32) فـن القيادة في الإسلام، الركن أحمـد عبـد ربه بصبوص، مكتبة المنارة – الأردن، ط1، 1408هـ -1988م.

(33) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق، ط32، 1423هـ - 2003م.

(34) لسان العرب ، للإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث القاهرة ، ط 1423هـ -2003م.

(35) مخـتار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، ط (1393م – 1973م) ، دار الفكر ، بيروت .

(36) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني.

(37) المهذب في فقه مذهب الإمام الشافعي لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزأبادي الشيرازي ط3 (1216هـ -1976م) ، الحلبي ، مصر .

(38) المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار – الأردن، ط5، 1410هـ 1989م.

(39) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناجي ، ط (دار الفكر) .